كَيْفَ السَّبِيلُ

آية أبوالحجاج المطعني

اسم الكتاب: **كَيْفَ السَّبِيلُ**

تأليف: **آية أبوالحجاج المطعني**

الإخراج الداخلي: د. شيماء محمد أبوطالب

تدقيق لغوي: هدية علي

تصميم الغلاف: محمد صابر

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 2833 /2023

الترقيم الدولي:9- 09 - 978-977-8957





ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339

الإهداء

إلى هؤلاء الذين يقولون: دعوتُ الله بكذا وكذا ولكنّه لم يستجِب، فهل أنا عبدٌ سيء، أم للدعاء مفاتيح استجابة؟

إلى أبي الذي بفضله أكون أنا وتكون كلماتي التي تخطّها يدي، ويقرأها غيري، وتأخذها الأيام فأعدك أبي ألا أبرح الأرض حتى تفخر بي.

المُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه.

أمّا بَعد:

يظن البعض أنه لا يجوز الخوض في الحديث عن باب الدعاء سوى من أفواه كبار أهل العلم والأئمة بالمساجد؛ فلا يحق لشخصٍ عادي أن يكون ناصحًا مرشدًا في أمر الدعاء ما لم يكن عالمًا أو خطيبًا وكأنّ الدعاء حكمًا فقهيًا؛ مما جعلني أتراجع عن كتابة هذا الكتيب في البداية، ولكن ما دفعني للكتابة في النهاية تلك الدعوات التي استجابها الله لي ولمن حولي والتي كانت بمثابة أعجوبة في عين البشر ولكنّ الله لا يعجزه شيء وهو القادر فوق عباده.

وهنا أقول إنّ باب الدعاء رخصـــة مقدّمة للجميع، ولكن ليس الجميع يذوق حلاوة الاســتجابة، فأنصــت لمن ذاقها واســأله مستفهمًا مستشيرًا: ماذا فعلت حتى استجاب الله دعاءك؟

وفي الختام أقدّم هذا الكتيب الصغير لهؤلاء الذين يقولون بعد كل دعوة معلّقة لم تتحقّق: دعوت الله بكذا وكذا ولكنه لم يستجب، فهل أنا عبدٌ سيء؟!

نوافيكم بالإجابة عن هذا السؤال في فصول هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

نســأل الله -تعالى- أن يكون هذا الكتاب نافعًا للأمة، خالصًــا لوجهه الكريم، والله وليّ التوفيق.

السبيل الأول

اليقين

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

إنّ من أعظم مفاتيح الدعاء وأقربها للاستجابة هو اليقين، فما من عبد دعا الله بيقين إلا استجاب له. فمتى تأمّلت قول الله -تعالى-: "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنَّم داخرين" ستجد أنّ الله أمر بالدعاء في قوله: "ادعوني" وأجزم بالإجابة في جواب الشرط "استجب"، فماذا بعد وعد الله حتى تطمئن!

يا رفيقي أودُّ منك أن تتدبّر هذه الآية وتتأمل أكثر وأكثر حتى تصل معي إلى الإجابة عن سؤالٍ سائل: هل تحدَّث الله عن اليقين في الدعاء، وما علاقة اليقين بالدعاء؟

الإجابة: مَن تأمَّل في هذه الآية وجد الله أمر بالدعاء في قوله "ادعوني" وجعل الدعاء عبادة في قوله "إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي" ثم جعل أسمى منازل العبادة (اليقين) حينما قال بسورة الحجر: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين". وكأن الله يقول لك إن مفتاح الاستجابة لأمنياتك المُعلّقة حسن يقينك وتصديقك لوعدي. فمتى آمنت وأيقنت بوعده، نِلت الاستجابة يا صديقي مهما طالت مدة الانتظار.

نتعجّب كثيرًا لشخصٍ يقول: ما دعوتُ الله بدعوة إلا أُستجيبت.

وشخص آخر يقول: أدعو الله كثيرًا ولا يستجيب.

أتعلم ما الفرق بين الحالتين؟

الحالة الأول: يستعين هذا الرجل بمفاتيح الدعاء حتى يفتح الله له أبواب الاستجابة وعلى رأس تلك المفاتيح اليقين، أما الشخص الثاني فيدعو الله وفي قلبه شيء من الشك أنّ الله يستجيب له، فلا يستجيب له.

أعلم أنك تتساءل الآن، كيف أدعو الله بيقين، ومن أين آتي به؟

يا صـــديقي، إنّ اليقين شـــعورٌ قلبي يســـكن القلب ويســـير بالجوارح حينما تعبد الله بصـــدق وتؤمن به بحقٍ وتصـــدق وعده، فـاليقين ليس بمنّـة يمنُّ الله بـه على من أراد وينزعـه عمن أراد! بـل هو فعلٌ قلبي نابع عن حبٍّ صـادق وحسـن عبادة، فإذا أحببت الله بصدقٍ أحسنت عبادته، وإذا أحسنت عبادته أيقنت به.

هيا بنا نُسافر سويًا في رحلة قصيرة نتأمل فيها قصصًا وتجارب واقعية لأناس مع الدعـاء:

قصص وردت في الدعاء باليقين:

"سُـئل الحســن البصــري -عليه رحمة الله-: ما زهدك في الدنيا يا إمام؟

قـال: أربعة أشـــياء؛ علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فـاطمأن قلبي، وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فـانشـــغلتُ به وحدي، وعلمتُ أن الله مطّلعٌ عليّ فاسـتحييتُ أن يراني عـاصيًا، وعلمتُ أن الموت ينتظرني فـأعـددتُ الزاد للقـاء ربي." فمعنى علمتُ أي أيقنتُ من اليقين، فهكذا يفعل اليقين بأهله..

تأمّل معي موقف أم موســى لمّا أوحى الله إليها أن تُلقى ولدها في الماء ما ترددت ولا تقاعست بل نفّذت أمر الله -سـبحانه- لما سكن في قلبها من يقينٍ بوعد الله ســبحانه حين قال لها: "وأوحينا إلى أم موســى أن أرضــعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين".

ثم انظر إلى موقف ســالم بن عبـد الله بن عمر بن الخطاب لمّا قدم ســليمان بن عبد الملك مكة حاجًا، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وجد ســالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- في ناحية من المسجد يقرأ القرآن، فلما انتهى الخليفة من طوافه اقترب منه وألقى عليه السلام فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته أمير المؤمنين. فمال عليه الخليفة وقال له: يا أبا عمر سـلني حاجة أقضـيها لك، فســكت ســالم حتى كررها الخليفة، فقال ســالم: يا أمير المؤمنين أســتحي أن أكون في بيت الله وأســأل غيره، فتركه الخليفـة وانتظره حتى خرج من المســجـد، فلمـا خرج من المســجد قال له: ها نحن قد خرجنا من بيت الله يا أبا عمر

فسـلني حاجة أقضـيها لك. فقال: يا أمير المؤمنين مِن أمر الدنيا أم مِن أمر الآخرة؟

قال: بل مِن أمر الدنيا، فإن الآخرة لا يملكها إلا الله. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا لم أسـأل الدنيا من يملكها، فكيف أسـأل الدنيا من لا يملكها؟ فقال الخليفة: زادنا الله بكم يقينًا آل الخطاب.

وحينما حدّث رسـول الله أصحابه عن الدعاء، قال لهم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" ولم يكتفِ في نصحه لهم بالدعاء فقط لما من عظيم وأهمية اليقين في الدعاء.

يقول عمر بن الخطاب:

أنا لا أحمل هَم الإجابة ولكن أحمل هَم الدُعاء فإذا أُلهِمت الدعاء فإن الإجابة معه.

تقول سيدة:

ظلمتُ ظلمًا عظيمًا في أمرٍ ما، ومكثتُ أعوامًا أُعاني مِن هذا الظلم، وأجاهد بالدعاء حتى أتى يوم عرفة، دعوتُ الله بيقين في هذا اليوم حتى استجاب بعد تلك الدعوة بخمسة

أو ستة أيام تقريبًا، وظهر الحق على مرأى ومسمع الجميع، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وتقول سيدة أخرى: في عام 2015 كان ابن خالتي مصابًا بالسرطان، فدعونا الله له بالشفاء أعوامًا حتى أقبَل علينا عام 2022 وهو معافى بفضلٍ من الله ومنة.

تقول فتاة: كان والدي مصابًا بقرحة قدم سكري، وظل الجرح مفتوحًا ثمانية أعوام ولم يلتئم، فدعوتُ الله أن يشفيه بكل أملٍ ويقين في الله، فالتأم جرحه وتم شفاؤه، فسررتُ بشدة حيث كان هذا الأمر كل ما أتمنى حينها.

وتقول فتاة أخرى: تزوجت أختي منذ ثمانية أعوام ولم تُنجب طيلة هذه المدة. فدعوتُ الله كثيرًا (بيقين) حتى استجاب الله لي وأنجبت الآن طفلين.

وتقول أُخرى: دعوتُ الله أن يرزقني الزواج حتى بلغتُ من العمر واحدًا وأربعين عامًا، يئس الجميع من أمر زواجي إلا

أنا كنتُ أشعر أنه سيستجيب حتى استجاب ورزقني الآن بزوجٍ صالحٍ خير الرجال.

وأقول أنا: التحقت بكلية اللغات والترجمة ودعوت الله من أول عام بها أن أحصل على تقدير امتياز بترتيب الأول على الدفعة، ولكن لم أدعُ الله بصدق ويقين خلال الثلاثة أعوام الأولى، فمضت ثلاثة أعوام من الدراسة دون تحقق تلك الدعوة، وفي العام الرابع دعوت الله بصدق ويقين في الإجابة وها أنا الآن حصلتُ على درجة الامتياز بترتيب الأول على الدفعة وفي انتظار استلام جواب تعييني بالجامعة، مما زادني هذا الأمر يقينًا بالله في كل دعوة.

وفي الختام أقول: هيّا بنا يا رفيقي ندعو الله هذه المرّة بقلوب يسكنها اليقين وتتغمدها السكينة، فالحمد لله على نعمة الدعاء وكفى بالدعاء نعمة.

السبيل الثاني

الذِكر

"فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ"

لا أُخفيكم سرًا أحبَّتي فلقد سمعتُ كثيرًا عن فضل الذِكر في الدعاء لكنّي لم أستخدم هذا المفتاح في دعائي من قبل، فمكثتُ بضعة أيام أقف أمام هذا الباب لا أدري كيف أحدّثكم عنه دون تجربة شخصية حدثت لي معه بالفعل حتى تخرج كلماتي من قلبي وتصلُ لقلوبكم، بل كيف أنصحكم بأمرٍ لم أفعله، حتى قررتُ أن أنتظر قليلًا ريثما أستخدم مُفتاح الذِكر في دعائي وحينها يمكنني الحديث، وبالفعل كان لي مسألة عند الله مكثتُ بضعة أيام أذكر الله بالليل والنهار، سرًا وعلانية، قيامًا وقعودًا بنية تحقيق المطلب والإجابة حتى استجاب الله بسرعة البرق، فالحمد لله على نعمة الدعاء وكفى بالذكر الإجابة.

يا رفيقي إن أخبرتك أنَّ هناك ثمة شـيء ما أفضـل من الدعاء تتحقق به الأمنيات، وتُفتح به أبواب الرزق، بل وتنحلّ به العُقَد، وتنفرجُ به الكُرَب، وتُقضى به الحوائج، أفتصدقني؟

هكذا الذِكر يا رفيقي فهو أعظم وأسـرع من الدعاء في تحقيق الأمنيات، فدعني هنا أُحدِثك عن عظيم وفضـل مفتاح الذِكر في الاستجابة:

يا صديقي يُقال "إنّ من البيان لسحرًا"

وأنا أقول لك: إنّ للذِكر لسحر!

يقول الله عزّ وجل: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ"

أي لولا أنّ يونس -عليه السلام- كان من المسبحين لله والذاكرين له، ما استجاب الله دعاءه حينما كان في بطن الحوت يطلب من الله النجاة قائلًا: "لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين"

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاثة لا يُرد دعاؤهم: الذاكرُ الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط"

لله دره! يسَّرَ الله علينا مفاتيح الاستجابة لكي نستطيع جميعًا الدعاء ومن ثمَّ نلقى الإجابة، وكأنه يقول اذكرني أذكرك وأجيب مطلبك.

أفبهذا الذكر تغفلون!

ماذا تنتظر؟ وكيف بعد هذا نسأل الله أمرًا ونغفل عن ذكره!

يقول الله -عز وجل-:

"من شغله ذِكري عن مسألتي، أعطيته أفضلُ ما أُعطي السائلين."

أعلم جيدًا أنّ بعضًا منا يُصاب أحيانًا بحالة من الثقل عند الكرب، أي ثقل الدعاء على القلوب والأفواه حينما يشتد البلاء. للذكر في هذا المقام دورٌ عظيم، فكان النبيُّ –صلى الله عليه وسلم_ يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم"

أسرِع خُطى قدميك لكي أُطلِعُكَ على بعض قصص الذاكرين في الدعاء، فهي رحلة قصيرة تَسرُّ قلبك وتروي عطشك:

الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

تقول سيدة: "ذهبتُ يومًا إلى إحدى المصالح الحكومية لأمرٍ ما، فرأيتُ امرأة عجوز يخبرها أحد الموظفين أن أوراقها لا تصلح ولا يُمكن قبولها، فولّت عنهم ومكثت بعيدًا تذكر الله، فبدأت تُصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم_ قائلة: "اللهمّ صلِّ صلاة كاملة، وسلّم سلامًا تامًا على نبينا صلاة تنحلُّ بها العقد، وتنفرج بها الكُرب، وتُقضى بها الحوائج وتُنال بها الرغائب، وحُسن الخواتيم، ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله". اندهشتُ لأمر هذه السيدة فلم أستطع أن أصمت، فاقتربتُ منها وسألتها عن هذا المشهد، فأخبرتني أنها كلّما ضاقت بها الدنيا أو أصابها همٌّ أو كربٌ تصلي على النبي _صلى الله عليه وسلم_ بهذه الصيغة، فيقضي الله حاجتها ويفرّجُ عنها همّها."

يقول أحدهم: "كان لي مسألة عند الله لم تُقضَ، فضاقت بي الدنيا، فجلستُ قُبيلَ الفجر بنصف ساعة أصلي على النبي بالصيغة الإبراهيمية "اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك

على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد" حتى آذان الفجر، فتوضـأتُ وصـليتُ الفجر ثم نمت، اسـتيقظتُ بعدها على اتصـالٍ من أحدهم يُخبرني أن الأمر قد قُضي والحمد لله."

يقول شـخصٌ آخر: "كلما كانت لي عند الله مسـألة، أذكر الله وأصلي على النبيّ فتُقضى حاجتي على الفور حتى خشيتُ أن يكون الله لا يحب سماع صوتي فيستجيب دعائي في وقتٍ قصير."

يَحضرني الآن موقف للنبي -صلى الله عليه وسلم- حينما سمع رجلًا يدعو في صـلاته لم يمجّدْ الله -تعالى- ولم يصـلِّ على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال صلى الله عليه وسلم: عجِّل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صـلّى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربّه عزَّ وجلَّ والثناء عليه، ثم يصـلي على النبيّ صـلى الله عليه وسـلم ثم يدعو بَعدُ بما شاء." هنا يعلّمنا النبي -صلى الله عليه وسلم- آداب الدعاء ومفاتيح استجابة الدعاء، فالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أتذكّرُ جيدًا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأُبي بن كعب -رضي الله عنه- حينما قال له: يا رسول الله إني أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئتَ، قلتُ: الربع؟ قال: ما شئتَ، فإن زدت فهو خيرٌ لك، قلتُ: النصفَ؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك، قلتُ: الثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدتَّ فهو خيرٌ لك، قلتُ: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذًا تكفي همّك، ويُغفر ذنبك." من هنا نستنبط أنّ الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات أثر عظيم في زوال الهم والحزن وتكفير الذنوب. لله دره! ما أعظم الذكر في الدعاء، وما أسرع الصلاة على النبي في رفع الكروب وتفريج الهموم!

موقف أبيّ بن كعب يذكّرني بقصة لرجلٍ يحكي عن نفسه قائلًا: أجريتُ عملية بساقي منذ خمسة أشهر، لكنّ الجرح التهب بسبب جرثومة دخلت بالساق أثناء إجراء العملية. فذهبتُ إلى المستشفى، فأخبروني بأنّ المرض قد انتشر في سائر عظام ساقي ولا بُد من بتره، تذكّرت حينها موقف أُبيّ بن كعب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما قال للنبي: أجعل لك صلاتي كلها؟، فأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- قائلًا: إذًا تكفي همّك ويغفر ذنبك،

فقررتُ حينها أن أُكثر من الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بكل يقين أنّ الله سيفرّج همّي ويفك كربي، فوالله ما هو إلا أسبوع فقط وقد عدتُّ إلى البيت معافى ليس بي مرض ولم يتم بتر ساقي، رأيتُ خلال هذا الأسبوع من تفريج الهمّ وتسخير كل شيء لأجلي ما تعجبتُ منه، واستشعرتُ بمعية الله في كل لحظة."

تقول سيدة: مكثتُّ عشرة أعوام أتعالج من ألمٍ في المعدة ولكن دون جدوى، فأصابني الهَم والحزَن خاصةً بعد خبر وفاة زوجي، حينها قرأتُ عن فضل الصلاة على النبي وأثرها، فمكثتُ فترة أُكثر من الصلاة على النبي وأستغفر حتى رأيتُ ذات ليلة في منامي نهرًا واسعًا مليئًا بالسفن، وكان لون النهرُ أخضرَ، وامرأة تجلس بجواري وجدتُّ منها رائحة طيبة، فأخبرتها أنّ رائحتها جميلة، فأجابتني قائلة: هذه رائحة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنظرتُ بجواري من الناحية الأخرى، فوجدتّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا أستطيع وصف جماله ونوره، ثم بعد ذلك أعطاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كوبًا من الماء، وقال لي: اشربي هذا الماء. فبكيتُ بشدة وقلتُ له: أتعرفني يا رسول الله؟ فقال لي: صلاتك عليّ هي نجاتك. ثم ذهب رسول الله، وشربتُ الماء. حينما

استيقظتُ من النوم تقيأتُ دمًا من المعدة كان لونه غريبًا، ثم بعد ذلك شعرتُ بالراحة ولأول مرة بعد مرور عشر سنوات من المعاناة والألم."

-فضائل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

أشعر كما لو أنّ أحدكم يتساءل قائلًا: هل فضل الصلاة على النبي مقصورٌ على الدعاء فقط؟

وهنا أقول: يا رفيقي إنّ الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات فضائل وفوائد عديدة واقتصار ذكرها على الدعاء في هذا المقام من باب ذكر مفاتيح استجابة الدعاء الذي هو موضوع حديثنا وأمر انشغالك به، فمن فضائل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

1-صلاة الله -سبحانه وتعالى-:

فالله سبحانه وتعالى حينما يرانا نُصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- يُصلّي علينا بها عشرًا، وهذا مصداق لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما قال: "من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشرًا." وقوله: -صلى الله عليه وسلم- بموضعٍ آخر: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه

من صــلى عليّ صــلاة صــلى الله عليه بها عشــرًا، ثم ســلوا الله لي الوســيلة فإنها منزلة في الجنّة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن ســأل لي الوســيلة حلّت له الشــفاعة." وما أجملُ قوله -صــلوات ربي وســلامه عليه- حينما قال: "ما من أحدٍ يسلّم عليّ إلا ردّ اللهُ على روحي حتى أرد عليه السلام."

تذكّرتُ الآن قول عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- للنبي -صلى الله عليه وسلم-: قلتُ: يا رسول الله، سجدتّ سجدة خشيت أن يكون الله قد قُبض روحك فيها. فقال: إن جبريل أتاني فبشّــرني أنّ الله -عزّ وجلّ- يقول لك: من صــلى عليك صــليتُ عليه، ومن سلّم عليك سلمتُ عليه. فسجدتٌّ لله شكرًا."

كما أننا لا ننسى قول الله تعالي في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمن الرحيم.

"فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون"

وقوله أيضًا -سبحانه وتعالى-:

بسم الله الرحمن الرحيم.

"إنّ الله وملائكته يصــلّون على النبيّ يا أيها الذين ءامنوا صــلّوا عليه وسلّموا تسليمًا"

2- تكفير الخطايا ورفع الدرجات:

الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- تُرفع درجاتنا عند الله وتحطّ من الخطايا من ناحية أخرى. عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطّت عنه عشر خطيئات ورُفعت له عشر درجات." وقوله -صلى الله عليه وسلم- بموضعٍ آخر: "من كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم منّي منزلةً."

3- نَيل الشفاعة:

العبد الذي يلتزم بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا يكون أولى الناس بنيل شفاعته في الآخرة، حيث وُرد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة"، وقوله -صلى الله عليه وسلم- بموضعٍ آخر: "من صلى على حين يُصبح وحين يُمسي عشرًا أدركته شفاعتي."

4- رؤية النبي بالمنام:

أتعلم يا صديقي أنّ هناك من رأى رسول الله بسبب كثرة صلاته عليه، أتعلم أنني كنتُ أتعجّب كثيرًا حينما كان يقصّ الناس رؤيتهم

للنبي -صـلى الله عليه وسـلم- بالمنام بسـبب ذكرهم له وصـلاتهم عليه!

سـأروي لكم الآن أجمل ما سـمعتُ في قصـص رؤية النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بالمنام:

تقول سيدة:" لقد رأيتُ رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- ثلاث مرات على ثلاثـة أسـابيع متتـاليـة، فلقـد رأيتـه مرة على هيئتـه الشـريفة، ومرّة على هيئة نور ثم مرة كان مرتديًا وشـاحًا أسـودًا يُغطي به وجهه الكريم.

أحد الثلاثة مرات اسـتيقظتُ من رؤيته على رائحة طيّبة تفوح بجميع زوايا غرفتي حتى انتابني شـعور بالخوف والرهبة فجلسـتُ بشـرفة الغرفة إلى أن فجّ نور الصـباح، لا أقول إنني فعلتُّ أمرًا عظيمًا لكي أراه، بل كنتُ حينها كثيرة الحزن فمكثتّ مدّة أصـلي على النبي- صـلى الله عليه وسـلم_ وافكّر به كثيرا حيث كنتُ أتمنى وجوده بجواري هذه الفترة لأحكي لـه كل ما أمر بـه إلى أن أتـاني في منامي. بعد تلك الرؤى الطيبة لرسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- كلما قصـصـتُ على أحد هذا الأمر يُخبرني أنه سـيأتي يومٌ سـأزوره بالمدينة، حينها كنتُ بالمرحلة الثانية بالجامعة وبعد التخرج رزقني

الله بزيارة بيت الله الحرام، فذهبتُ إلى روضته الشريفة، لا أخفيكم سرًا حينما كنتُ بالروضة ظللتُ أبكي بشدة وأقول له: وأخيرًا أتيتُ إليك يا رسول الله!"

يقول رجل: "لقد رأيتُ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ثمانية مرات، فوالله إنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نور على نور ووجهه جميلٌ للغاية، كان متبسمًا ذا هيبة إن رأيته من بعيد، ولكن حينما تقترب منه ينبض قلبك من فَرط حبك له، أتعلم كأنّ جمال الدنيا وحلاوتها وُضع في وجهه الشريف، أما عن صوته وجمال لمس يده أعجز عن الوصف. والله إني لحزينٌ لانقطاعي عن رؤيته منذ فترة، فكنتُ أصلّي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلًا ونهارًا بالصيغة الإبراهيمية، رزقكم الله رؤيته ولا حرمني من دوام رؤيته، إنّي لأشتاق إلى رؤيته كثيرًا."

تقول فتاة أخرى: "كنت كثيرة الذكر والصلاة على النبي في آناء الليل وأطراف النهار، حينها كنتُ أتمنى حدوث أمرٍ ما؛ فكنت أصلّي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يقرب من الألف مرة كل يوم حتى رأيتُ رسول الله في منامي وبشّرني بها ثم تحققتُ بالفعل، ومن

وقتها أصـلّي على النبي بشـكلٍ مسـتمر وأراه، لكن للأسـف بعدما قصصتُ هذا الأمر على الناس ومن حينها لم أره مرة أخرى."

وتقول سيدة: "رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما كنتُ في السادسة عشر من عمري، رأيته واقفًا مرتديًا عمامة على رأسه لكني رأيته من الخلف فلم أرَ وجهه. بعد هذه الرؤية بدأتُ ألتزم في الصلاة على النبي وأُكثرُ من الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم- خاصةً حينما يكون لديّ أمر متعسر، وذات ليلة رأيتُ أخي في المنام يطلب مني أن أُصلّي على النبي، وحينما استيقظتُ وجدتّ الأمر العسير قد انحلّ على بمساعدة أخي، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-."

أتعلم يا رفيقي إن جسدي قد اقشعرّ من كلماتي إليك، وكأني أقصص رؤياهم على نفسي وليس لك وعليك! اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك، وارزقنا زيارة بيتك الحرام ورؤية حبيبك المصطفى -صلى الله عليه وسلم- اللهم اقبلنا وتقبّلنا واجعلنا من عبادك الصالحين.

وبعد أن اطّلعنا على بعض فضائل الصلاة على النبي، نعود الآن سريعًا إلى بقية حديثنا عن مفتاح الذكر في الدعاء وبالأخص فضل الاستغفار في الدعاء..

2- ذكر الاستغفار في الدعاء:

فأمّا عن الاستغفار فلا نغفل عن موقف الحسن البصري حينما دخل عليه رجلًا في مجلسه وقال له: مُنعنا المطر يا إمام، فأجابه الحسن البصري: استغفر الله. ثم جاءه آخر وقال: يا إمام مُنعت الولد، فقال له: استغفر الله. وجاءه ثالث وقال: يا إمام منعتُ السَعة في الرزق فقال له: استغفر الله. فتعجّب طلاب الحسن البصري وقالوا باندهاشٍ عظيم: كل من سألك مسألة قلتَ له استغفر الله. فأجاب الحسن البصري رحمة الله عليه: أوما قرأتم قول الله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم "فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا* يُرسل السماء عليكم مدرارًا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهارًا"!

انظر كيف جعل الله الاستغفار مفتاحًا للفرج في الدنيا والآخرة، أمّا الدنيا فالله جعل الاســتغفار مفتاحًا لنزول المطر على أرضٍ جدباء انقطع عنها الماء، وجعله مفتاحًا لكســب الأموال، وإنبات البنين، وإمدادنا بنعيم الدنيا من جناتها وأنهارها، أمّا في الآخرة فجعل الله الاســتغفار مفتاحًا للمغفرة والعفو عنا، يقول الله -ســبحانه وتعالى- بموضــعٍ آخر من القرآن الكريم: "وأن اســتغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُمتّعكم متاعًا حسـنًا إلى أجلٍ مســمّى ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضله وإن تولّوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ كبير."

دعني أُخبرك أيضًا أنّ لزوم الاستغفار يفكّ الكرب، يفرّج الهمَ، ويوسّع الرزق حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من لزم الاســتغفار جعل الله له من كل ضــيقٍ مخرجًا، ومن كل همّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب."

لله دره! جعل الله الاســتغفار الذي نُردده بألســنتنا فقط دون جهدٍ منا مفتاحًا للفوز بالدنيا والآخرة. أخبروني ماذا يريد العبد تيسيرًا أكثر من ذلك حتى يدعو الله بقلب مطمئن؟

في الحديث عن الاســتغفار لا أســتطيع أن أتجاوز قصــة رجل جعلتني أتعجب لأثر الذكر على حياة المرء حتى فاضت عيناي، إنّي أتحدث عن قصــة الإمام أحمد بن حنبل مع الاســتغفار، حيث توقّف الإمام أحمد بن حنبل في إحدى رحلاته ذات مرة عند قرية ولم يجد مكانًا للمبيت، فذهب إلى المســجد ليمكث به تلك الليلة، ولكن عنـدمـا أراد النوم فيـه شـــاهـده الحـارس، فرفض مبيتـه بالمســجد، حاول الإمام أن يُقنعه بالمكوث هذه الليلة فقط لكن الحارس أصــرّ على خروجه، فنام الإمام أحمد بن حنبل موضــع قدميه أي عند عتبة المســجد، ولكن حارس المســجد لم يُعجبه الأمر؛ فجرّه لإبعاده عن المسجد..

قـد كان الإمـام أحمـد بن حنبـل شــيخًـا وقورًا يبـدو عليـه كِبَر السن، فرآه خبّاز كان يملك محلًا صغيرًا يبيع الخبز فيه، فتعاطف الخبـاز مع حـال الإمـام أحمـد، وعرض عليـه المبيـت عنـده. ذهـب الإمام أحمد بن حنبل مع الخباز، فأكرمه وأحســن إكرامه حيث ذهب الخباز لتحضير عجينة لعمل الخبز.. فلاحظ الإمام أحمد بن حنبل أمرًا حيّره، وهو أن الخباز كان لا يُفارق الاســتغفار لســانه أبـدًا، فكـان مع كـل عجينـة يعجنهـا يســتغفر الله، ومع كل رغيف

يُدخله للفرن أو يُخرجه يســتغفر الله دون فتورٍ أو ملل بل يُردد بشكلٍ متواصل، ومضى وقت طويل وهو على هذه الحالة، فتعجّب الإمام أحمد بن حنبل..

فلمّا أصــبح ســأل الإمام أحمد بن حنبل الخباز عن كثرة استغفاره؟

فأجابه الخباز: إنه اعتاد في كل عمل يقوم به أن يذكر الله ويستغفره..

فسأله الإمام أحمد: وهل وجدت لاستغفارك ثمرة؟

فقال الخباز: نعم، فوالله ما دعوتُ دعوةً إلاَّ أُجيبت! إلاَّ دعوة واحدة!

فقال الإمام أحمد: وما هي؟

فقال الخباز: رؤية الإمام أحمد بن حنبل..

فقال الإمام أحمد: أنا أحمد بن حنبل، والله إني جُررت إليك جرًّا حتى يُحقّق لك الله تلك الأمنية..

«فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ غَفّارًا * يُرْسِلِ السّمَاءَ عَلَيْكُمْ مّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لّكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَل لّكُمْ أَنْهَارًا»

سبحان الله العظيم ربّ العرش العظيم، الحمد لله حمدًا كثيرًا على نعمة الذكر في الدعاء!

انظر يا رفيقي كيف يسّر الله لنا الدعاء لكي يجيبنا! انظر وتأمّل هذا الأمر بقلبك وعقلك وكافة جوارحك! يا لرحمة الله بنا! يا لعظمة الله! يا للطف الله.. سبحان الله!

الله لا يحتاج منا سوى أن نتودّد ونتدلّل كما يفعل الطفل مع أمهِ حينما يسألها أمرًا، والله إنّي لأرى حالنا مع الله في الدعاء كحال الطفل مع أمهِ حينما يحتاج منها شيئًا فتطلب منه أن يقترب منها فيقول لها ما تودّ سماعه منه حتى تجيبه وتُلبي طلباته، فالتودّد والتدلّل يا رفيقي مع الله هو الذكر، تذكيرًا وذكرًا لعظمته. حاشا لله أن اشبه بأحد أو أضرب به مثلًا لكنّي يا صديقي وددتك تفهم لماذا الله منحنا مفتاح الذكر كوسيلة في الدعاء.

ذكر الحوقلة في الدعاء:

الحوقلـة من أكثر الأذكـار التي تُيسّـــر الأمور، وتُزيح الغموم، والهموم ويســتجاب بها الدعاء، فمن نزل به كرب أو بلاء أو أصــابه الهمّ فليُكثر من الحوقلة، فقد كان من وصـايا الرســول الله -صـلى الله عليه وســـلم- لأبي هريرة الإكثار من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله".

قال رسـول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواءً من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم".

من أراد الفوز بالجنّة فعليه بالحوقلة في الدعاء:

قال -صلى الله عليه وسـلم-: "قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة."

من يخشى الفقر فعليه بالحوقلة في الدعاء:

قال -صــلى الله عليه وســلم-: " من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم، لم يُصبه فقر أبدًا."

من أنعم الله عليـه بنعمـة وأراد بقـاءهـا، فعليـه بـالحوقلـة في الدعاء:

قال-صلى الله عليه وسلم-: "من أنعم الله عليه نعمةً فأراد بقاءها فليُكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله."

ذكر "لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين." في الدعاء:

يقول الله عز وجل: "وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ"

حينما نذكر قول "لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين" نتذكّر جميعًا قصة سيدنا يونس -عليه السلام- حينما كان في الظلمات ببطن الحوت ودعا الله بهذا الدعاء، فأخرجه الله من ظلام وضيق بطن الحوت إلى نور الأرض الواسعة معافى. فذكر "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فالدعاء يا رفيقي نجاة من كل بلاء ومفتاح من مفاتيح استجابة الدعاء...

قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين، إنه لم يدعُ بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها"

يقول سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: "كنا جلوسًا عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال -صلى الله عليه وسلم-: ألا أخبرك بشيء إذا نزل برجل منكم في كرب، أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون: لا إله إلا الله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

هنا أختتم حديثي عن فضل الذِكر في استجابة الدعاء وإن كان للحديث عن الذكر لا ختام له ولا نهاية، ولكن يكفي هذا القَدر من الحديث في بيان أهمية استخدام مفتاح الذكر في الدعاء كوسيلة تحقيقٍ للأمنيات وكقارب نجاة من الكروب والابتلاءات، في النهاية أودّك أن تعلم يا صديقي إنّك إن عزمت على الذكر، فتح الله لك وعليك أبواب الدنيا والآخر، وصلِّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمد صلاةً تقبل بها دعواتنا، وتغفر بها ذنوبنا، وندخل بها الجنّة، اللهم إنّا نستغفرك ونتوب إليك ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

السبيل الثالث

الإلحاح

أتعجّب يا صديقي من هؤلاء الذين يسألون البشر حاجتهم بانكسار وتذلّل بل وبإلحاحٍ شديد ولا يسألون الله حاجتهم بهذه الهيئة!

أعلم يا صديقي أنّك لست بحاجة لأحدّثك عن مدى عِظم وأهمية الإلحاح في الدعاء، فالطفل الصغير يعلم ذلك، ألم ترَ الطفل الصغير كثير الإلحاح والطلب! فيظل يلحّ على والديه ويبكي إذا احتاج شيئًا من والديه حتى يناله؟ فحالك مع الله كحال هذا الطفل تحتاج إلى الحاحٍ في دعاءك لتحقيق مطلبك وإجابة سؤالك، فالله يحب العبد المِلحُّ في دعائه، العبد الذي يشعره بانكساره ولجوئه إليه في كل سرّاء وضرّاء، العبد الذي يتوسّل إليه بالليل والنهار أن يُعطيه حاجته، العبد الذي يأتيه متذللًا يرفع كفيه لأعلى ويقول "يا رب" من أعماق قلبه موقنًا أن قضاء حاجته

في يده، فالله يحتاج منك أن يراك قريبًا منه وقُربك من الله يكون بوسيلة الدعاء.

الله يسعد يا صديقي حينما تأتيه داعيًا ويكون أسعد حينما تأتيه بعد كل رحلة غفلة وانشغال عنه بالدنيا، ويكون أشدّ فرحًا حينما تأتيه تائبًا بعد الذنب، فحالك أنت مع الله كحال الطفل الذي يعود إلى أحضان أمه بعد رحلة غربة، وحال الله معك كحال الأم حينما تكون في أشد افتقادها لعودة ابنها إلى أحضانها، حاشا لله أن يُشبّه بأحدٍ فليس كمثله شيء ولكنّي فقط أردتُ أن تفهم معنى الدعاء.

يحكي الشيخ محمد حسّان أنّه خرج ذات يوم لبيت الله الحرام، فوجد رجلًا يرفع كفيه إلى أعلى مستوى رأسه حتى كُشف عن إبطيه، وجده يُناجي ربّه متضرعًا متوسّلًا ويحدّثه بحديثٍ لا يسمعه أحد سوى الله. يقول الشيخ محمد حسان: وقفتُ خلف هذا الرجل وصلّيت ركعتين، ثم جلستُ أنظر إليه أراقبه وأنا متعجبٌ من حاله مع الله، وبعد بضع دقائق جاءه رجل يحدّثه

ولكنه لم ينتبه لكونه مشــغولًا مع الله بقلبه وجوارحه، ظل الرجل يناديه ويحدثه ولكنّه لم ينتبه، وانتهى الأمر بأن وضـع الرجل مقدارًا من المال بين ركبتيه ورحل، ورغم ذلك الرجل أيضًـا لا ينتبه لا للحديث ولا للمال الذي وُضِـع حتى فرغ من دعاءه فنظر أسـفله فوجد المال فعاد إلى الله باكيًا يقول الحمد لله، حينها يقول الشـيخ محمد حســان انتهزت الفرصــة وأقبلتُ على الرجل أســأله: "ماذا تسأل الله؟"، فلم يُجبني، فأخبرته: "إني أريد أن أتعلّم فأسألك بالله أن تُعلّمني" فـأجـاب الرجـل قـائلًا: "إني في كربـةٍ وحـاجـة يعلم الله شــدتها، فســألت الله مالًا لأقضــيها فرزقني الله ثلاث أضــعاف ما طلبت".

لله دره! انظروا كيف يســـأل وحـده وكيف حـالـه مع الله في السؤال!

يا رفيقي خذها من فمي رســالة واعمل بها كقاعدة: ما من عبدٍ دعا الله بقلبه والتزم بالإلحاح في الدعاء إلا استجيبت دعوته.

هلمّ إلى الله بقلبك لا بلسانك يا صديقي، هلمّ لله سائلًا خاشعًا متضرّعًا، ولا تفعل ذلك مع من سواه. أفتسأل الدنيا من لا يملكها!

هيا بنا الآن في رحلة قصيرة أُطلعك فيها على مدى أهمية استخدام مفتاح الإلحاح كمفتاحٍ من أهم مفاتيح استجابة الدعاء:

من أفعال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القدوة الحسنة للبشرية أنّه إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا.

هكذا كان نبي الله إذا دعا، فما بالك أنت عبد الله وليس نبيه، أفتسأله حاجتك مرّة أو مرتين!

الإلحاح يعني التكرار، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما استجار عبد من النار سبع مرات في يوم إلا قالت النار: يا رب! إنّ عبدك فلان قد استجارك مني فأجره. ولا يسأل الله عبدًا الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب! إن عبدك فلان سألني فأدخله."

يقول ابن سعدي في الإلحاح في الدعاء:

"فمن وُفّق لكثرة الدعاء فليُبشر بقرب الإجابة، ومن أنزل حوائجه كلها بربه فليطمئن بحصولها من فضله وثوابه."

من وصيّة الذهبي لمحمد بن رافع السلامي:

"فثمة طريق قد بقي لا أكتمه عنك وهو: كثرة الدعاء والاستعانة بالله العظيم في آناء الليل والنهار، وكثرة الإلحاح على مولاك بكل دعاء مأثور تستحضره أو غير مأثور، وعقيب الخمس: في أن يصلحك ويوفقك."

قال صلى الله عليه وسلم:

"من قَرِع باب الله سبحانه فُتح له."

القَرِع يعني الطَرق، والطَرق لا يكون مرةً واحدة بل بكثرة وتكرار. فقال صلى الله عليه وسلم بموضعٍ آخر: "أكثر من الدعاء، فإنه مفتاح لكل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلا يُوشك أن يُفتح لصاحبه."

يا صديقي حينما تدعو الله بأمرٍ أريدك أن تثق بالله ولا يرتابك شك إن تأخّر عليك بالإجابة، يقول البزنطي:

قلتُ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: جعلت فداك، إني قد سألت الله تبارك وتعالى حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء..

فقال لي صلى الله عليه وسلم: أخبرني عنك لو أني قلتُ قولًا كنت تثق به مني؟ قلتُ: جعلتُ فداك، وإذا لم أثق بقولك فبمن أثق؟!

قال صلى الله عليه وسلم: فكن بالله أوثق، فإنك على موعدٍ من الله، أليس الله تبارك وتعالى يقول: "إذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أُجيب دعوة الداعي إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون."

يقول الله عز وجلّ: من سألني وهو يعلم أني أضر وأنفع أستجيب له.

وحينما سُئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ندعو فلا يُستجاب لنا؟!

قال لهم: لأنكم تدعون من لا تعرفونه..

السبيل الرابع

سورة البقرة

إذا طلبتم مني وصيّة، فوصيّتي (البقرة).

وإذا طلبتم مني نصحًا، فنصيحتي (البقرة).

وإذا طلبتم مني وِردًا، فاجعلوا الوِرد (البقرة).

أمّا إذا كانت لكم أمنيّة معلّقة بأبواب الاستجابة، فعليكم أيضًا بسورة (البقرة).

إنّي لأتعجبُ يا رفيقي ممن يخشون السحر والحسد، بل وأتعجّبُ أكثر ممن أصابهم إحدى السوأتين ولم يُسرِع إلى البقرة!

لا يخشى ولا يُؤذى من كان ورده البقرة، فهي دواءٌ لكل داء، يتداوى بها مريض النفس والبدن، ويتعافى بأحرفها مريض العين والسحر، ويهدأ بها بال كل من أصابه الهَم والحَزَن، ويتحصّنُ بآياتها كل من أصابه شرٌ من إنسٍ أو جِن. فلا تستهن بسورة البقرة

ولا تغفل عن هذا الدواء، فلا تكن ممن كان يدور في دائرة البحث عن علاج وكان يجهل أنّ بين يديه أقوى علاج.

لكي أريح قلبك وأطمئنك هيا معي الآن في جولةٍ صغيرة نطّلع فيها على فوائد قراءة سورة البقرة..

فوائد تلاوة سورة البقرة:

طرد الشيطان من المنزل:

اعلم يا رفيقي أن الشيطان لا يدخل منزلًا تُتلى بين جدرانه سورة البقرة، فتلاوتها تطرد الشياطين كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنّ الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة".

وقاية من السحر:

كما ذكرنا سابقًا أن تلاوة سورة البقرة تحفظ المُسلم من أذى السحرة البَطَلة، وتفك السحر وتشفي مريضه، ومن أدلّة ذلك ما

رُوي في صحيح مسلم عن أبي أُمامة الباهليّ -رضي الله عنه- أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- قال: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ».

المقصود بالغيايتين غيمتان تُظلَّان قارئ البقرة، كناية عن حفظه وحمايته، وفرقان أي جماعتين، والبَطَلة هم السحرة.

حماية وحفظ:

إنّ قراءة سورة البقرة تحفظ المسلم وتحميه من شر الإنس والجن حيث أنّها تشتمل على أعظم آيات الله ألا وهي آية الكرسي، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا أوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزالَ معكَ مِنَ اللَّهِ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ". وأيضًا ما رُوي عن عقبة بن عمرو -رضي الله عنه- أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "مَن قَرَأَ بالآيَتَيْنِ مِن آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتاهُ".

نيل البركة:

تحلّ البركة وتُفتح أبواب الرزق بتلاوة سورة البقرة، فإنّ تلاوتها تجلب الخير والبركة على صاحبها بل وعلى جميع أفراد البيت الذي تُتلى به ممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "اقرَؤوا سورةَ البقرةِ، فإنَّ أَخْذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البَطَلَةُ". صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

5- **نيل الشفاعة:**

ما ثبُت في صحيح مسلم عن الصحابي الجليل النّواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يؤْتَى بالقُرْآنِ يَومَ القِيامَةِ وأَهْلِهِ الَّذِينَ كانُوا يَعْمَلُونَ به تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وآلُ عِمْرانَ، وضَرَبَ لهما رَسولُ اللهِ صلى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ثَلاثَةَ أمْثالٍ ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قالَ: كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ ظُلَّتانِ سَوْداوانِ بيْنَهُما شَرْقٌ، أوْ كَأنَّهُما حِزْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن صاحِبِهِما". صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

سأحكي لكم الآن عن أناسٍ تغيّرت حياتهم بفضل قراءة سورة البقرة:

تحكي سيدة وتقول: "كانت لي صديقة تزوجت بفضل الله ولكن تأخر إنجابها، فبدأت تقرأ سورة البقرة كل يوم حتى رزقها الله بالحَمل، فحملت وأنجبت توأم بنتين بفضل الله."

تحكي سيدة أخرى وتقول: "التزمتُ بقراءة سورة البقرة كل يوم حتى جعلتني أستشعر بعد ذلك برغبةً في التوبة والتقرّب إلى الله، شيئًا فشيئًا وجدتُ نفسي أدعو الله في كل سجدة أن يهدني إلى ارتداء الحجاب الشرعي، وأن يُصلح قلبي حتى لا يبقى به ذرة كرهٍ اأو حقدٍ على أحد، ولله الفضل والمنّة هداني الله إلى لباس الدين الشرعي وتغيّرتُ كثيرًا فلم يعد بقلبي أيّ كره أو ضغينة اتجاه أي أحد."

قالت فتاة: "داومت فترة كبيرة على قراءة سورة البقرة وتحققت بفضل قراءتها الكثير من الأماني، كما أنني كنتُ أشعر براحة تتغمّدني بعد قراءتها كل مرة لكنّي مؤخرًا انشغلتُ عن قراءتها، فأدعو الله أن أعود إليها مجددًا."

أخبرتنا فتاة بصوتٍ حزين: "كنت مواظبة على قيام الليل وتلاوة سورة البقرة، فكنتُ أدعو الله أن يرزقني زواجًا طيبًا من رجلٍ به كل الصفات التي أتمناها حتى رزقني الله كما تمنيتُ، لكن للأسف بعد زواجي توقفتُ عن قراءتها فأصحبت حياتي تسوء أمام عيني، فمررتُ بمشاكل صحية ونفسية."

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم!

السبيل الخامس

دعوة الصالحين

"قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين"

حينما أراد إخوة نبيّ الله يوسف -عليه السلام- أن الله يغفر لهم ما فعلوه بيوسف حينما ألقوه في البئر، سألوا أباهم نبي الله يعقوب أن يستغفر لهم ذنبهم عند الله ولم يكتفوا بالدعاء بالمغفرة بأنفسهم؛ بل أرادوا أنّ أباهم الرجل الصالح يعقوب يرفع كفيه لربه ويدعو لهم حتى يكون الدعاء أقرب للاستجابة، وهذا يدلّ على أنّ مفتاح دعاء العبد الصالح من أعظم مفاتيح استجابة الدعاء.

هنا ننتقل للحديث عن أكثر المفاتيح التي أحرص عليها لقضاء حوائجي ألا وهي دعاء العبد الصالح. لا أقصد بدعاء العبد الصالح التوسّل في الدعاء بذكر أسماء الصالحين الذين توفاهم الله، ولكن أقصد هؤلاء المعروفين بالصلاح من الأحياء والمشهود لهم بذلك، فسؤال الصالحين بالدعاء لنا مفتاح من أقرب مفاتيح

الاستجابة وأعظمها، فدعوة رجل صالح يُحبّه الله قد تغيّر مجرى حياتنا للأفضل، فما بالكم يا رفاق بمن دعا لهم نبيّ من أنبياء الله! فهنيئًا هنيئًا لمن حظى بدعوة نبيّ الله وسيد المرسلين سيدنا محمّد -صلى الله عليه وسلم- بذاته.

من أجمل ما قرأتُ في صغري قصة ذلك العبد الصالح الذي ظلّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يبحث عنه لأجل أن يلقاه فيدعو له.

تخيّل معي الصحابي الجليل عمر بن الخطاب -ثاني الخلفاء الراشدين- يطلب من عبد ليس صحابيًا ولا خليفة أن يدعو له! سبحان الله في ملكه.

أعلم يا رفيقي أنه ينتابك الفضول في معرفة من هذا الرجل الصالح الذي طلب منه عمرّ أن يدعو له؟ وما قصته مع عمر بن الخطاب؟ لذلك سأخبرك الآن لعلك تُدرك بعد قراءة هذه القصّة أهمية دعاء العباد الصالحين.

يُحكى أنّ ذات يوم كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مجلسٍ له بين أصحابه، فقال لهم: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه

إلا موضـع درهم، له والدة هو بها بار لـو أقسـم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك، فافعل."

مرّت الأيام وتوفى رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ولكن ما زال قـول رسـول الله عـالقًا بذهن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فكان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سـألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال له: أنت أويس بن عامر؟ قـال: نعم، قـال: من مراد ثم من قرن؟ قـال: نعم. قـال: فكان بك برص، فبرأتُ منه إلّا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضـع درهم، له والدة هو بها بر، لـو أقسـم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي، فاستغفر أويس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقال له عمر: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال عمرّ: ألا أكتب لك إلى عاملها؟

قال: أكون في غبراء الناس أحب إليّ.

لم يرَ أويس بن عامر القرني رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- على القول المشـهور بل كان تابعيّ بزمان خليفة المسـلمين عمر بن الخطاب -رضـي الله عنه- لكن كان عبدًا صـالحًا بلغ أسـمى منازل الصـلاح عند الله؛ ولأن رسـول الله يعلم مدى عظم وأهمية مفتاح دعاء الرجل الصالح لغيره في استجابة الدعاء، أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه إذا رأوه فليطلبوا منه أن يدعو لهم بالمغفرة.

لله دره! يطلب رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- من أصحابه التماس الدعاء من فم عبد ليس بنبيّ ولا صحابيّ بل عبد صـالح، فأيّ جمال أعظم من هذا!

يا رفاق إذا رزقكم الله برجل صالح بإحدى بقاع الأرض، فعجّلوا بطلب الدعاء من فمه، فلعلها تُصـيب ويقبل الله دعاءكم وتنعموا بلذّة الاستجابة.

هيا بنا الآن في رحلة أطلعكم بها على مقتطفات من حياة أناس أصابتهم دعاء الصالحين، فكان لهم حظًا ونصيبًا من الاستجابة، لا منعكم الله نعمة الدعاء ولا حرمكم من لذة الإجابة.

- دعوة رسول الله لأصحابه:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مستجاب الدعوة فما دعا رسول الله لأحد من أصحابه إلا استجيبت دعوته، وفي هذا يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "كان صلى الله عليه وآله وسلم كلما دعا الله في شيء أجابه فيه، وظهرت بركات دعوته على المدعو له، وعلى أهله وبنيه"

يحكي أبي هريرة -رضي الله عنه- ويقول: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما أكره، فأتيتُ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبَى عليّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فخرجتُ مستبشرًا بدعوة -نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم- فلمَّا جئتُ، فصِرتُ إلى الباب، فإذا هو مُجاف، فسمِعَتْ أمي خَشْفَ قَدَمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمِعت خَضْخَضَةَ الماء، قال: فاغتسَلَتْ ولبِستْ دِرعها وعَجِلَت ففتحتِ البابَ، ثم

قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فأتيتُه، وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشِر، قد استجاب الله دعوتَك وهدى أمَّ أبي هريرة، فحمِد الله وأثنى عليه، وقال خَيْرًا.

قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحبِّبَني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويُحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا -يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ»، فما خُلِق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبَّني.

هنيئًا هنيئًا لأبي هريرة وأمه بدعاء رسول الله لهما.

دعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

دعا -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس رضي الله عنهما، وهو يومئذ غلام فقال: «اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل» فكان أفقه الناس في الدين، وأعلمهم بالتأويل، حتى سمّى البحر وترجمان القرءان، لسعة علمه، رضي الله عنه.

دعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعروة بن أبي الجعد الباقري رضي الله عنه:

ومن ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى عروة بن أبي الجعد البارقي دينارًا يشتري به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار، فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه.

فهنيئًا هنيئًا لعروة بدعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ومن ذلك دعاءه عليه الصلاة والسلام لأنس بن مالك رضي الله عنه حينما طلبت منه أمه ذلك؛ بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ». قال أنس: "فوالله إنّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم".

ومن ذلك دعاؤه -صلى الله عليه وآله وسلم- لبعير جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد روى أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: فَتَلَاحَقَ بِي وَتَحْتِي نَاضِحٌ لِي قَدْ أَعْيَا، وَلَا يَكَادُ يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «مَا لِبَعِيرِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: عَلِيلٌ، قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ، فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟» قَالَ:

قُلْتُ: بِخَيْرٍ قَدْ أَصَـابَتْهُ بَرَكَتُكَ.. الحديث. أخرجه البخاري ومسـلم في صحيحيهما.

ومن أمثلة ذلك أيضًـا إجابة الله تعالى له في اسـتسـقائه، ثم بكشف المطر حين شكوا إليه كثرته؛ فقد أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أصابت الناس سَنة (السَنة بالفتح: الجدب والقحط) على عهد رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، فبينما رسـول الله -صـلى الله عليه وآله وسـلم- يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسـول الله هلك المال وجاع العيال، فادعُ الله أن يسـقينا، قال: فرفع رسـول الله -صـلى الله عليه وآله وسـلم- يديه وما في السـماء قزعة (القزعة: القطعة من الغيم)، قال: فثار السـحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.

قال: فمطرنا يومنا ذلك، وفي الغد ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدّم البناء، وغرق المال، فادعُ الله لنا، فرفع رسـول الله -صـلى الله عليه وآله وسـلم- يديه وقال: «اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، قال: فما جعل يشـير بيده إلى ناحية من السـماء إلا تفرجت حتى سـارت

المدينة في مثل الجَوبة (الجوبة بالفتح: هي الحفرة المستديرة الواسعة، أي: حتى صار الغيم والسحاب محيطًا بآفاق المدينة)، حتى سال الوادي -وادي قناة- شهرًا، قال: فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود (الجود: المطر الواسع الغزير).

كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من هؤلاء الذين أصابتهم دعوة رسول الله لهم -صلى الله عليه وسلم-، فكما نعلم كان عمر بن الخطاب رجلًا فظًا غليظًا من كفّار قريش، كارهًا للإسلام والمسلمين، فدعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات مرة وقال: "اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين"، المقصود بالعمرين عمر بن هشام (أبي جهل) وعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب، فحظى عمر بن الخطاب بلذة الهداية وهداه الله للإسلام ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-سعد بن أبي وقاص:

كان العبد الصالح الصحابيّ الجليل سعد بن أبي وقّاص مُستجاب الدعوة، فما من دعوة دعاها إلا اُستجيبت، ومن أمثلة ذلك:

روى البخاريُّ عن جابر بن سمرة قال: شكا أهلُ الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكَوْا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاقَ، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنتُ أصلي بهم صلاة رسول -الله صلى الله عليه وسلم- ما أخرِمُ عنها؛ أصلي صلاة العشاء فأركد في الأُوليَيْنِ (أي أُطوِّل فيهما القراءة)، وأُخِفُّ في الأُخريَيْنِ، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدَعْ مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبسٍ، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدةَ، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسَّريَّة، ولا يُقسم بالسَّويَّة، ولا يعدِلُ في القضية، قال سعد: أما والله لأدعوَنَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعةً، فأطِلْ عُمره، وأطِلْ فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعدٍ، قال عبد الملك بن عميرٍ -أحد رواة الحديث-: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطُّرق يغمزهن.

كما أن ســعد بن أبي وقّاص دخل ذات يوم على قوم كان بينهم رجل يسـبُّ الصّحابة، فكان يسـب طلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوام، وعليّ بن أبي طالب -رضـوان الله عليهم أجمعين-، فأمره أن ينتهي ويتوقّف، فرفض واسـتمرّ في السـب، فدعا سـعد -رضيَ الله عنه- بأن يجعله الله عبرة للنّاس، فدخلت عليه بعير لا يوقفها شيء فقتله، فقال النّاس: أصابته دعوة أبي إسحاق.

كما أنّه دار خلاف ذات يوم بين ســعد بن أب وقاص وابن مسعود -رضوان الله عليهم- واشتدّ الخلاف حتى كاد سعد بن أبي وقّاص أن يدعو، فخاف بن مســعود من دعاء بن أبي وقّاص، ففرّ هاربًا من الخلاف.

ويُحكى أنّ سعد بن أبي وقاص كان له أبناء صغار، فدعا الله أن يُطيل في عمره حتى يبلغوا، فمات بعد الدعوة بعشرين عامًا.

-سعيد بن زيد:

روى مسلم عن سعيد بن زيد: أن أروى بنت أويسٍ خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها؛ فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- يقول: "مَن أخذ شـبرًا من الأرض بغير حقه، طُوِّق في سـبع أرَضـين يوم القيامة"، اللهم إن كانت كاذبةً فأعمِ بصـرَها،

واجعل قبرها في دارِها، قال محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، أحد رواة الحديث -: فرأيتُها عمياءَ تلتمس الجُدُرَ، تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيدٍ، فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئرٍ في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرَها.

-<u>أنس بن مالك:</u>

قال ثابتٌ البُناني: كنتُ مع أنس بن مالكٍ، فجاء خادمه فقال: يا أبا حمزة، عطِشَتْ أرضنا، قال: فقام أنس وتوضّأ، وخرج إلى البرّية، فصلى ركعتين، ثم دعا ربه، فرأيت السحاب يلتئم، وقال: ثم أمطرت حتى ملأت كل شيءٍ، فلما سكن المطر، بعث أنس بعضَ أهله، فقال: "انظروا أين بلغت السماء؟"، فنظر فلم تَعْدُ أرضَه إلا يسيرًا.

-<u>البراء بن مالك:</u>

وصل صلاح البراء بن مالك منزلة عالية حتى قال عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنه مجاب الدعوة:

روى الترمذيُّ عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم مِن أشعثَ أغبرَ ذي طمرين لا يُؤبَهُ له، لو أقسم على الله لأبَرَّه، منهم البراء بن مالكٍ"

وبراوية أخرى قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كم من ضعيفٍ متضعِّفٍ ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبَرَّ قسمه، منهم البراء بن مالكٍ"، فإن البراء لقي زحفًا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا: يا براء، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنك لو أقسمتَ على الله لأبَرَّك، فأقسِمْ على ربك، فقال: أقسمتُ عليك يا رب لَمَا منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس (مكان)، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء، أقسِمْ على ربك، فقال: أقسمتُ عليك يا رب لَمَا منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم، فمُنِحوا أكتافهم، وقُتِل البراء شهيدًا.

-<u>أبو مسلمٍ الخَوْلاني:</u>

قال بلال بن كعبٍ: كانت الظِّباءُ تمر بأبي مسلمٍ الخولاني، فتقول له الصبيان: يا أبا مسلمٍ، ادعُ لنا ربَّك يحبس علينا هذا الظبي، فيدعو الله -عز وجل- فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم.

أحمد بن حنبل:

كان الإمام الفقيه أحمد بن حنبل رجلًا صــالحًا حتى أنّ الناس في زمانه كانوا يقدمون عليه يطلبون الدعاء لهم، ومن أمثال ذلك ما قاله عبّاس الدوري أنّ عليّ بن أبي فزارة يحكي قائلًا: كانت أمي مُقعدة (مشــلولة) نحو عشــرين ســنةً، فقالت لي يومًا: اذهَبْ إلى أحمد بن حنبلٍ فاســأله أن يدعو الله لي، فسِــرْتُ إليه، فدققت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلتُ: أنا رجل من أهل ذاك الجانب (أي من أهل الحي)، ســألتني أمي وهي كبيرة الســن، مُقعَدة، أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعتُ كلامَه كلامَ رجلٍ مغضَبٍ، فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا، فوَلّيتُ منصــرفًا، فخرجت امرأة عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمتَ أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركتُه يدعو الله لها، قال: فجئتُ مِن فوري إلى البيت، فدققت الباب فخرجت أمي على رِجْليها تمشــي حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهَب اللهُ لي العافية.

-محمد بن إسماعيل البُخاريُّ:

بعث الأمير خالد بن أحمد الذُّهْلي والي بُخارى إلى محمد بن إســماعيل أنِ احمِلْ إلى كتاب (الجامع) و(التاريخ) وغيرهما لأســمع

منك، فقال لرسوله: أنا لا أُذِلُّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانَتْ لك إلى شيءٍ منه حاجة، فاحضُرْ في مسجدي، أو في داري، وإن لم يُعجِبْك هذا فإنك سلطانًا، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأني لا أكتم العلم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجم بلجامٍ من نارٍ"، فكان سبب الوحشة بينهما هذا، فاستعان الأمير بحريث بن أبي الورقاء وغيره، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم، فلم يأتِ إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية (الحاكم)، بأن ينادى على خالدٍ الذُّهْلي في البلد، فنودي عليه (تم بيعُه كعبد مملوك) على أتانٍ (أي حمار)، وأما حريث، فإنه ابتُلي بأهله، فرأى فيها ما يَجِلُّ عن الوصف، وأما فلان، فابتُلي بأولاده، وأراه اللهُ فيهم البلايا.

-<u>إبراهيم بن أدهم:</u>

قال بقيَّةُ بن الوليد: كنا في البحر، فهبَّتِ الرياح، وهاجت الأمواج، فبكى الناس وصاحوا، فقيل لمعيوفٍ: هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألتَه أن يدعو اللهَ عز وجل؟ وإذا هو نائم في ناحية السفينة ملفوف رأسه في كساءٍ، فدنا منه، فقال: يا أبا إسحاق،

أما ترى ما الناس فيه؟ فقال: اللهم قد أرَيْتَنا قدرتَك، فأرِنا رحمتَك، فهدأَتِ السفينة.

-الشيخ الشعراوي:

كان فضيلة الإمام الشيخ الشعراوي -رحمه الله- من أولياء الله الصالحين فكانت له كرامات كثيرة حتى أنه كان إذا دعا الله استجاب له، ومن أمثلة ذلك:

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، إن الإمام الراحل محمد الشعراوي لم يكن عالمًا عاديًا بل وليًا من الصالحين الذين كُشف عنهم وكانت له كرامات كثيرة.

وأضاف أنه عمل مع الشيخ الشعراوي في جامعة مكة بالمملكة العربية السعودية، وذات يوم وجد جماعة يبكون من كربٍ نزَل بهم، وطلبوا من الشعراوي أن يذهب معهم إلى مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليدعو لهم أمام الحجرة النبوية الشريفة.

فذهب الشعراوي معهم ووقف أمام الحجرة النبوية الشريفة في الروضة، ودعا لهؤلاء المكروبين، وتوسّل إلى الله تعالى، قائلًا: "مولاي -مخاطبًا الرسول- ضيفك من كل الدنُى جاءوا، فامنن عليهم بما شاءوا وفوق ما عرفوا من فضل ربهم ما قد عرفت، وكم

لله آلاء من علوم الفضـــل أنـت قـاســمها والله معطـاء"، وأخـذ الشــعراوي يدعو في الروضــة حتى إذا ما وصــل هؤلاء المكربون إلى مكة وجدوا الكرب قد كشفه الله بفضل دعائه"

تحكي الـدكتورة نـاديـة عمـارة أنهـا تتلمـذت على يـد الشــيخ الشــعراوي بالمرحلة الجامعية، وطلبت منه ذات مرة أن يدعو لها بأن يكون موضوع رسالتها بالماجستير والدكتوراه في تفسيره، فرفع فضـيلته كفيه لربه ودعا لها بذلك قرابة ثلث ســاعة، فاســتجاب الله دعاءه وكان بالفعل موضوع رسالتها في تفسيره.

وفي ختام هذا الفصــل أوصــيكم بالاســتعانة بمفتاح دعوة الصــالحين كلما رأيتموهم في أي وقت وبأي مكان، وأســأل الله أن يتقبل منا ومنكم.

السبيل السادس

الرويّة

"يُسْــتجَـابُ لأَحَـدِكُم مَـا لَم يعْجـلْ: يقُولُ قَـد دَعـوتُ رَبِّي، فَلَم يسْتَجبْ لِي."

احرص يـا رفيقي على الرويّـة في الـدعـاء، أي لا تعجـل في أمر الإجـابـة كمن يقول: "يـا رب أعطني كـذا اليوم أو الغـد"، أو كمن يقول: "دعوت الله ولم يســتجب"، كن صــبورًا على مســألتك فالله أدرى منك بالوقت المُناسب لنيل مطلبك، فرويدًا رويدًا، لا تعجل.

أشعر كما لو أنّ ثمّة شخص ما يتساءل قائلًا: لماذا لا يستجيب الله دعائي سريعًا بنفس زمن الدعاء؟ ما فائدة تأخير زمن الإجابة؟

يا صــغيري تخيّل معي الآن أنّك ســائقَ قطار وبجوارك طفلك الصغير يسألك أن تسمح له بقيادة القطار، هل ستجيبه؟

بالتأكيد لن تســمح له بقيادته مهما ألحّ عليك حينها ليس لأنك لا تريده أن يعيش التجربة ولكن لأن زمن الطلب لا يتنــاســب مع

زمن التحقيق، أي أنه صــغير الســن ويحتاج أن يصــبر حتى يكبر وحينما يتناسب عمره مع قيادتها تمنحه القيادة.

هكذا حال الله مع العباد في الدعاء يا رفاق، يؤخّر عنك الإجابة ريثما يأتي الوقت المناســب لاســتجابة دعوتك، لا تدري فربما لو اســتجاب الله لك في الوقت الذي أنت تريده لأصــابك ضــرر وتكون الاســتجابة حينها ضــارة لك وليس منفعة، فتصــالح مع فكرة الروّية في الدعاء يا صديقي، فالله لا يحجب عنك أمرًا أو يؤخّره إلا لحكمة هو يعلمها.

يقول صـلوات ربي وسـلامه عليه: "لا يزَالُ يُسْـتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَم يدعُ بإِثمٍ، أَوْ قَطِيعةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْــتعْجِلْ قِيلَ: يَا رسُــولَ اللَّهِ مَا الاسْـتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَم أَرَ يَسْـتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْد ذَلِكَ، ويَدَعُ الدُّعَاءَ".

هيّا بنا في رحلة جديدة قصــيرة نطلعكم بها على بعض قصــص الروّية في أمر الدعاء، لعلّ الله يســكب بقلوبكم شــعور الطمأنينة والصبر بعد تلك الرحلة:

نبيّ الله يعقوب -عليه السلام-:

حينما رجع أبناء يعقوب من الجُب دون يوسف وأخبروه أنّ الذئب قد أكل يوسف، قال يعقوب -عليه السلام-:

"فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون".

ظلّ يعقوب بعد هذه الحادثة يدعو الله بعودة يوسف سنوات، يُقال إنه مكث أربعين عامًا يدعو الله دون يأس أو سخط من تأخّر إجابة دعوته، فكان على مدار تلك الأعوام يشكو بثّه وحزنه إلى الله برويّة وصبر دون عجلة واستعجال. " إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ".

هذا ما قاله نبيّ الله يعقوب بعد رحلة انتظار لعودة يوسف إليه، ثم بعد أعوام من الحزن خرج أبناؤه إلى مصر وعادوا إلى يعقوب دون أخيهم بنيامين، فكان جواب يعقوب عليهم:

" فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا إنّه هو العليم الحكيم".

ولكنّ الله يعلم حزن يعقوب على فراق يوسف كما يعلم حزنك، فبشّره الله بعودة يوسف في الوقت الأنسب لعودته إلى حضن يعقوب:

"فلمّا أن جاء البشـير ألقاه على وجهه فارتدّ بصـيرًا قال ألم أقل لكم إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون".

هذا هو حال نبيّ الله يعقوب -عليه السـلام- في الدعاء رغم أنّه نبيّ فلو سـأل الله الإجابة في الوقت الذي يريده لأجابه، ولكنه يعلم أنّ الوقت الأفضـل لاسـتجابة دعائه هو الوقت الذي يختاره الله، فلله حكمة ومعرفة بمقادير الأمور لا يعلمها سواه.

نبيّ الله إبراهيم -عليه السلام-:

أراد نبي الله إبراهيم -عليه السـلام- أن يمُنّ الله عليه بالذرية، فمكث أعوامًا ينتظر ويترقّب اسـتجابة الله لدعائه حتى اشـتعل رأسه شيبًا، وأصبحت امرأته عاقرًا، حينها أذن الله بالإجابة ورزقه الله بـ (إسماعيل) و(إسحاق)، لكون هذا الوقت هو الأنسب للإنجاب.

قال إبراهيم حامدًا لله بعد أن رزقه بالذرية: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء".

- نبيّ الله موسى -عليه السلام-:

دعا موسى -عليه السلام- على فرعون فقال لربه:

"وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ".

وُرِدت بعد الآراء أنّ استجابة الله لدعاء موسى لم تكن على الفور بل قيل أنّ موسى -عليه السلام- مكث أربعين عامًا حتى استجاب دعاءه على فرعون وملئه.

-نبيّ الله زكريا -عليه السلام-:

لم يمكث فقط نبيّ الله إبراهيم -عليه السلام- مدة زمنية طويلة ينتظر تحقق أمنية واحدة ألا وهي الإنجاب، فكان أيضًا نبيّ الله زكريا -عليه السلام- يتمنى من الله أن يرزقه غلامًا رشيدًا، يرثُ النبوة منه، فمكث نبيّ الله زكريا -عليه السلام- فترة من الزمن حتى كبر في السن وأصبح رجلًا مسنًا.

فكان دعاء زكريا:

"قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا".

فاستجاب الله لدعاء زكريا ورزقه بيحيى بعدما تجاوز من العمر مائة عام وصارت امرأته عاقرًا!

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم!

إذا نظرت وتأمّلت المدّة الزمنية ما بين دعاء أنبياء الله وإجابة الله لدعاءهم، ستُدرك حينها أنّ تأخر زمن الإجابة لا يعني انقطاعها عنك بل إنّ الله يؤخّرها لك لوقتها، فإذا حان الوقت أجابك.

السبيل السابع

الصدقة

"مـا مِن يَومٍ يُصْــبِحُ العِبـادُ فِيـهِ، إلَّا مَلَكـانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِـكًا تَلَفًا"

يظن البعض أنّ معنى قول "مُنفقًا خلفًـا" الوارد بـالحديث هو العوض المالي عن الصــدقة التي يُخرجها المتصــدّق، الله أكرم من ذلك يا رفيقي، فالخلَف قد يكون خيرًا تراه في نفسـك، أو أهلك، أو ذريتك، أو كلهم جميعًا.

فالصـدقة هنا ليســت فقط مفتاحًا لاســتجابة دعائك، بل هي الخير وكل الخير.

هنيئًا يا رفيقي بطيب العيش إن كنت من المتصدقين.

يا رفيقي تمر بنا لحظات نتعجّب كثيرًا من أمور تحدثُ معنا، فعلى سبيل المثال:

قد يسوق الله لنا رزقًا من حيث لا ندري بلا حولٍ منّا ولا قوة، فنتعجّب!

وقد يُكتب لنا نجاحًا في سنة دراسية دون مجهود منا وسعي، فنتعجّب!

وقد يرزقنا زواجًا طيبًا مباركًا رغم كثرة ذنوبنا وأخطائنا، فنتعجّب!

وقد يهبنا ذريّة صالحة رغم غفلتنا، فنتعجّب!

وقد يُنجينا من حادثة لم يُنجِ منها غيرنا، فنتعجّب!

فنظلّ نتساءل بداخلنا، ما سبب هذه المعيّة والعناية والتوفيق؟، ماذا فعلنا حتى يهبنا الله هذا الفضل رغم أننا عباد مقصّرون؟!

إنه أثر الصدقة التي أخرجتها ذات يوم وأنت لا تدري يا رفيقي!

عند لحظة الموت وفراق الحياة الدنيا، يُدرك المرء منّا حينها عظيم فضل الصدقة فيشعر بالندم أنّه لم يكن من المتصدّقين في الدنيا، فيسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يمنحه فرصة أخرى

بالحياة، وعمرًا آخر يعيشـــه حتى يتصـــدّق ولكن هيهات هيهات لما يتمنى المرء حينها، يقول الله -عز وجلّ- في كتابه العزيز:

"وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ".

هيّا بنا الآن في رحلة قصـــيرة نتأمل فيها أثر الصـــدقة في تغيير حياة الناس:

تقول ســـيّدة: "منعني الطبيب من الإنجاب لأنّ لديّ مشـــاكل صحية، وذات يوم منذ حوالي سـبعة سـنوات طلب زوجي أن أتبرع بشيء من أثاث منزلنا كصدقة لمسجدٍ كان يجمع تبرعاتٍ في الخير، فوافقتُ دون تردد ابتغاءً لوجه الله، وبعد هذه الصـدقة تحسّـنت حالتي الصحيّة، ومَنّ الله عليّ بالإنجاب".

تقول سـيدة أخرى: "كلما أضـعتُ شـيئًا ثمينًا وبحثتُ عنه ولم أجده تصدّقتُ بنية جمع ضالتي، وبالفعل أجدُ ضالتي على الفور".

ثم ســـيّدة أخرى تحكي: "أنجبت أختي طفلًا مصـــابًا بنقص كالسيوم حاد مما أثّر على صحته البدنية، حاولت أختي أن تعالجه

كثيرًا ولكن دون جدوى، فأخرجتُ صـــدقة بنية شـــفائه وبالفعل تعافى بفضل الله، داووا مرضاكم بالصدقات".

يقول شـــاب: "كتبتُ إجابات ســيئة للغاية في ورقة امتحانات نهاية الســـنة، فخشــيت من النتيجة حينها ولكن حينما أطعمت مســـكينًا في رمضـــان وكان هذا قبيل ظهور النتيجة، رزقني الله النجاح."

اللهم صـلِّ وسـلم وزد وبارك على سـيدنا محمد صـلى الله عليه وسلم.

فبعد الخوض في الحديث عن الدعاء وأثر الصدقة في استجابة الدعاء، أود أن أطلعك يا صـــديقي على فضـــائل الصـــدقة وأثرها العظيم على حياة المرء في الدنيا والآخرة، فمن فضـائل الصـدقة في الدنيا:

_الصدقة تشفي من الأمراض:

فمن كان عليلًا يشـــتكي من داء أصـــابه، فعليه بالصـــدقة بنية الشـــفاء، فقال رســـول الله -صـلى الله عليه وســـلم- في الحديث عن الصـــدقة: "داووا مرضـــاكم بالصـــدقة، وحصّـــنوا أموالكم بالزكاة، تدفع عنكم الأعراض والأمراض".

أي تصـدقـوا بنية شـفـاء مرضـاكم فيكون لهم حظًا من التعافي، وتدفع عنكم الأعراض والأمراض.

وهنـا يُمكننـا الربط بين الـدعـاء والـصـــدقـة، فـالـصـــدقـة ترفع المرض كما يرفع الدعاء بنية الشفاء.

-الصدقة تطفيء غضب الله -سبحانه وتعالى-:

أعلم يا رفيقي أنّك عبد يُطيع الله تـارةً، ويعصـــيـه تـارةً أخرى، فمتى أطعتـه أرضـــيتـه، ومتى عصـــيتـه أغضـــبتـه، وهنـا يـأتي دور الـصـــدقـة، فـالـصـــدقـة هنـا يـا أحبّـة تطفيء غضـــب الله وتقيك من عقوبته حينما تعصـيه وترتكب إثمًا، وهذا مصـداقًا لقول رسـول الله -صلى الله عليه وسلم-: "صنائع المعروف تقي مصارع السـوء، والصدقة السر تُطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر".

كما أننا لا ننسى أنّ من صنائع المعروف إخراج الصدقات ومن ثمّ فإنّ الصدقة تقي صاحبها مصارع السوء أي تقي المتصدق ميتة السوء، فيموت ميتة هنيّة طيّبة، رزقنا الله وإيّاكم طيب الختام.

-الصدقة تحضر البركة:

يوهم الشـــيطانُ النـاسَ أنّ الـصـــدقـة تُنقص مـال المتصـــدّق وتُفقره، ولكنّ الأمر على خلاف ذلك، فـالـصـــدقـة تطرح البركـة في

المال وتزيده وهذا ليس كلامًا ننطق به بل حقيقة أخبر عنها الله -سبحانه وتعالى- حينما قال في كتابه العزيز:

}إنّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيم{

وقوله -سبحانه وتعالى- بموضعٍ آخر من القرآن الكريم:

"قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"

يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما نقصت صدقة من مال.."

اللهم اجعلنا من أهل البرّ والصدقة.

_الصدقة تجلب التيسير:

كثيرًا ما نرى التيسير في حياة بعضٍ من النّاس، فنعجب ونتعجّب لأمرهم، ونتساءل في قرارة أنفسنا ما السر وراء هذا التيسير والتوفيق الذي يحفل بهم؟

إنّ حال المتصدقين في الدنيا كحال الذين إذا سعوا لأمرٍ تيسّرت لهم سبل الوصول والتحقيق، لأنّ الصدقة تدفع عنهم التعطيل والتعسّر، فيقول الله -عز وجل- في كتابه العزيز:

"فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وأمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى"

وهنا نداء لهؤلاء الذين يرفعون أكفّهم يسألون الله -تعالى- التيسير والتوفيق في حياتهم، عليكم بالصدقة.

-الصدقة تغمر القلب بالطمأنينة:

إنّ الصدقة تُطهّر القلب من مرض الشُحّ، وتغمر القلب بالسكينة والطمأنينة، فتقي الإنسان شُحّ نفسه، وفي هذا يقول الله -عز وجل-:

"فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ"

رأى الناس يومًا عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- وهو يطوف بالبيت، ويقول: ربِّ قِني شُحّ نفسي! ربِّ قِني شُحّ نفسي! لا يزيد على ذلك، فسأله الناس عن هذا؟ فقال: إذا وُقِيت شُحّ نفسي لم أسرق، ولم أزنِ، ولم أقتل.

أمّا فضل الصدقة في الآخرة كثيرًا، ومن أمثال ذلك:

-

الصدقة تقي من النار:

تحدّث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن فضل الصدقة في الوقاية من النار في الآخرة، فقال صلوات ربي وسلامه عليه: "فاتقوا النَّار ولو بشقّ تمرة" أي ولو بصدقة مقدار شقّ تمرة.

من هنا نتعلّم أنّ الصدقة لها منافع وفضائل كثيرة بوجهٍ عام، ولها أثر عظيم في استجابة الدعاء بوجهٍ خاص، أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يقبل منا ويتقبّلنا ويحشرنا في زُمرة الأنبياء والصالحين وممّن حسن أولئك رفيقًا.

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

السبيل الثامن

أوقات الدعاء

"إذا فتح على العبد الدعاء فليدع ربه فإن الله يستجيب له".

نتحدث هنا في هذا الباب عن أفضل مواقيت الدعاء عند الله ولا نقصد بهذا أنّ الدعاء له وقتٌ مُعيّن حتى يُقبل بل بينما تُدركك الحاجة للدعاء ادعُ الله، فلا تنتظر أن تكون بمسجدٍ أو أيّ مكانٍ مقدّس حتى ترفع أكفّك داعيًا بل ادعُ الله على أيّ حال وبأيّ زمان ومكان، فالمقصود هنا بمفتاح "أوقات الدعاء" الحثُ فقط على ألّا يفوتك حظٌ منها، لا يفوتك الخير والبركة التي تميّزت بها هذه الأوقات وتفضّلت بها عن غيرها، فانتقِ أفضل مواقيت الدعاء عند الله حتى تكون قد استعنت بمفتاح أفضل المواقيت عند الله فيكون دعاؤك أقربَ للاستجابة.

أمر الدعاء في وقتٍ مبارك أشبه في عيني بطفل يسأل أباه أمرًا فلم يُجبه إمّا انشغالًا أو رفضًا لهذا الأمر، فينتظر هذا الطفل

أفضـــل وقـتٍ يكون فيـه والـده أكثر انبســـاطًا وارتيـاحًـا كوقـت استيقاظ والده بعد انتهاء يوم شـاق، أو وقت حلول خبرٍ سـار، أو حلول مُناسـبة طيّبة بالمنزل، أو وقت قبض الراتب الشـهري فيُعيد على والده الطلب والسؤال فيُجيبه.

كن فطنًا واســأل الله ما شِــئت وما أحببت في الأوقات المباركة التي يُحبها الله.

وكما اعتادنا أحبتي في الله السـفر سـويًا في رحلةٍ قصـيرة نطّلع فيها على أفضل الأوقات عند الله لنلتمس فيها الدعاء:

-<u>الدعاء في جوف الليل</u>:

فقد أخبرنا رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- أنّ الله -سـبحانه وتعالى- ينزل إلى السـماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيستجيب دعاء الداعي، ويعطي ما يسأل السائل، ويغفر لكل مستغفر.

فعن أبي هريرة -رضـي الله عنه- قال: قال رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم-: "ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السـماءِ الدنيا، حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخرِ، فيقولُ: من يدعوني فأسـتجيبُ لـه، من يسـألني فأعطيه، من يستغفرُني فأغفرُ له؟»

-الدعاء دبر الصلوات المكتوبات:

لا تتعجّل وتهمّ بالقيام بعد الفراغ من صلاتك، فورد عن حديث أبي أمامة "قيل: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوت المكتوبات."

-دعاء المظلوم والمسافر:

كن ذكيّا واسأل الله ما شأت وقت السفر أو حينما يقع عليك ظلمٌ:

أمّا ما ورد في استجابة دعوة المسافر ودعوة المظلوم قوله -صلى الله عليه وسلم_: "ثلاثة لا تُرد دعوتهم الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتُفتح له أبواب السماء ويقول الرب -عز وجل- لأنصرنّك ولو بعد حين." وقوله بموضعٍ آخر: "اتّقِ دعوة المظلوم فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب."

يقول -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهن، دعوة الظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده."

-دعاء الصائم حينما يُفطر:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "للصائم فرحتان يفرحهما، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه" فالمقصود بفرحة

الصــائم عند فطره هي اســتجابة دعائه فهذا وقتٌ من الأوقات المباركة التي يكون دعاؤك أقرب للاستجابة.

-<u>الدعاء بظهر الغيب</u>:

يا رفيقي بينما أحبَّ قلبك أمرًا وابتغى تحقيقه، ادعُ لغيرك به وابتغِه له، فمتى أحببت الخير لغيرك، أعطاك الله ما سألت.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه المســلم بظهر الغيب إلا قال له الملك ولك بمثل"، وبرواية أخرى فَإِنَّ النَّبِيَّ صــلى الله عليه وســلم كَانَ يَقُولُ: "دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْـلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْـتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِــهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ."

تعلّم يا صــديقي أنّ الخير يأتي حينما تُحبّه للناس، فلا تكن شخصًا أنانيًا في الدعاء ولا تكره الخير لغيرك حتى يُرضي الله قلبك فيرزقك ما أحببت، ويُعطيك ما سـألت. قال رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم-: لا يُؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه".

-<u>الدعاء في السجود</u>:

اغتنم يا رفيقي لحظة سـجودك إلى الله، وانتهز تلك الفرصــة، واطلب منه ما شئت فإنك أقربُ إلى الله في هذه اللحظة.

عن أبي هريرة -رضـــي الله عنه- قال: قال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم-: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ســـاجد، فأكثروا من الدعاء".

-الدعاء في آخر ساعة من يوم الجمعة:

عن أبي هريرة -رضـــي الله عنه- قال: قال رســـول الله -صـــلى الله عليه وســـلم-: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّـــمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

نعلم جميعًا فضـــل وعِظَم يوم الجمعة ولكننا نتغافلُ بعض الأحيان عن المِنحة التي رزقنا الله بها في هذا اليوم العظيم ألا وهي ساعة استجابة، فمتى صادفت دعوتك تلك الساعة استجيبت.

من هنا أحبتي نتســـاءل جميعًا أي ســـاعة من هذا اليوم التي يستجيب الله فيها الدعاء؟

اختلف العلماء في تحديد تلك الساعة؛ فالبعض يقول إنها بين جلوس الإمام حتى تُقضى الصلاة استدلالًا بقول النَّبِيّ -صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاه» قَالُوا: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ، أَيَّةُ سَـــاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «حِينَ تُقَامُ

الصلاةُ إِلَى الِانْصِرَافِ مِنْهَا». والبعض الآخر يقول إنها بعد العصر استدلالًا بقول رَسُولِ اللَّهِ -صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ».

-الدعاء بين الآذان والإقامة:

الدعاء بين الآذان والإقامة مستجاب مصداقًا لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنّ الدعاء لا يرد بين الآذان والإقامة، فادعوا." فلا تغفل ولا تنشغل عن هذه المنح التي منحها الله، إيّاك.

-الدعاء ليلة القدر:

خير الدعاء في رمضان، فللصائم دعوة مستجابة في يومه كما ذكرنا سابقًا، فما بالك يا رفيقي أن يُصادف دعاؤك ليلة القدر!

ليلة القدر عند الله ذات مقدار عظيم، فهو كيوم عيد للعبد لأنّ الله -تعالى- يُعطي فيها أضعاف ما يعطي عباده في بقيّة أيام السنة، فهو القائل "ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر".

اسأل الله ما أحببت ليلتها بل واطمئن فإنّ دعاءك بها مستجاب.

كما تعلم يا صـــديقي أنّ ليلة القدر تقع في العشـــر الأواخر من رمضان، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يعتكفُ في العَشر الأواخر من رمضان.

عن عائشـــة رضـــي الله عنها قالت: قلتُ: يا رَســـوَل اللهِ أَرأيتَ إن علمتُ أيّ ليلةٍ القدر ما أقولُ فيها؟ قال صـــلى الله عليه وســـلم: "قُولي اللهمَّ إنَكَ عَفُو تحبُّ العَفو فَاعُف عَني".

كان رســـول الله -صـــلى الله عليه وســـلم- يحبُّ أن يقول في ليلة القدر: "للَّهمَّ إنِّي عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك ناصـــيتي بيدِك ماضٍ فيَّ حكمُك عدلٌ فيَّ قضـــاؤُك، أســـألُك بكلِّ اســـمٍ هو لك، ســـمَّيْتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو اســـتأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندك أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حزَني وذهابَ همّي"، وكان رسول الله أيضًا يحب أن يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـــرِّ فِتْنَةِ الْمَسِـــيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِـــلْ قَلْبِي بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ

الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ."

-<u>الدعاء وقت الفجر:</u>

إنّ وقت الفجر وقتٌ مبارك فقال الله -عز وجلّ- في كتابه العزيز: "اقِمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا".

"ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الفجر...".

-<u>الدعاء وقت آذان المغرب:</u>

لا أدري ما هذا الشعور الغريب الذي ينتابني عند حلول آذان المغرب، أشعر حينها برغبة شديدة في الدعاء، أشعر كما لو أنّ أبواب السماء تُفتح مع قول المؤذّن "الله أكبر"، وحينما يقول: "حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح" أشعر كما لو أنّ الله يُناديني لأدعوه بما شئت.

في هذا الوقت أجد نفسي لا إراديًا أترك ما أفعله حينها وأُنصت للآذان بلسانٍ يُردد ويدعو وبدموعٍ تُذرف خشية وعشمًا في إجابته.

أعجز عن وصف الشعور لكني أجد شعور الطمأنينة بهذا الوقت كأن الله يُطمئني بأنّه سيستجيب.

لا أجد نصًا قرآنيًا يتحدّث عن فضل الدعاء بهذا الوقت، ولم أقرأ من قبل حديثًا يدعم هذا الشعور الذي ينتابني، لكنّي وددتُ أن أخبركم وأُشاركُكم هذا الشعور لعل أحدكم يشعر بما أشعر بهذا الوقت ولعلكم تنتفعون به.

-دعاء يوم عرفة:

أفضل الأيام عند الله يوم عرفة، فالله -سبحانه وتعالى- يعتق من النار رقاب الكثير من عباده في هذا اليوم، وبهذا اليوم أيضًا يدنو سبحانه وتعالى ويتباهى أمام ملائكته بعباده الذين يعبدونه ويُعظّمونه بهذا اليوم العظيم وبالأخص الحجّاج من الناس الذين يزورون بيته الحرام ويقفون على أقدامهم من شروق الشمس لغروبها على جبل عرفات يُسبّحون ويُهلّلون ويدعون، فهنيئًا لمن يغتنم هذا اليوم العظيم ويستغله في التعبّد والدعاء، فلقد تكلّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن فضل هذا اليوم وأوصى فيه بالدعاء، ومن ذلك ما رواه الترميذيُّ عَنْ عبدِ الله بن عَمْرِو بْنِ العاص أَنَّ النَّبِيَّ -صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ

يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وقال: صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»..

هيا بنا الآن نركب سفينتنا لنخوض رحلة جديدة نستطلع قصص بعضٍ من الناس دعوا الله بهذه الأوقات المباركة ومَنّ الله عليهم بالإجابة:

- تقول فتاة: "قبل زواجي كنتُ أُقيم الليل بشكلٍ يومي وأدعو الله أن يرزقني بزوجٍ طيّب أجد فيه كل المواصفات التي أرغبها، وتحقّقت بفضل الله تلك الدعوة وأنا الآن متزوجة من زوج وجدتُ فيه كل ما تمنّيت ودعوت."

- تحكي سيدة قائلة: "كنتُ أدعو الله في كل سجدةٍ أسجدها بصلاتي أن يزوّجني فلانًا حتى رزقني إياه بلا حول مني ولا قوة."

- وتقول فتاة: "حينما ظُلمتُ ظلمًا شديدًا فرفعتُ كفيّ لأعلى بين الآذان والإقامة وأنا أُردد: "حسبي الله ونعم الوكيل" ثم بعدها

وجدتُ الله ينصرني بطريقةٍ استشعرتُ فيها عظمة الله وقدرته وأن الله معي يسمعني ويُطمئنني."

- وتخبرنا فتاة أخرى قائلة: "تعسّــر أمرٌ معنا ولم يكتمل حتى دعوت الله ذات ليلة قبيل الفجر بنصـف سـاعة أن يتيسّـر الأمر ولم أمكث بضع ساعات حتى تحقّق الأمر وتيسّر."

- وتسرد سيدة قصة ابنها فتقول: "كان لي ابن مريضٌ منذ ولادته ومنذ حوالي ثلاث سـنوات حينما التحق ابني بالجامعة أصـيب بمرض كلوي مزمن وارتفع مستوى إنزيمات الكلى، فأخبرنا الطبيب إن لم يهبط مستوى الإنزيمات سيضطر للقيام بغسيل كلوي بقية عمره، بدأنا بعدها رحلة علاج ولكن تطوّر الأمر ثم بعد مدة أخبرني الطبيب أنّ ابني سـيعيش بقيّة عمره بالقسـطرة، فحمدنا الله وصبرنا، وسبحان الله العظيم دعوت الله بوقفة عرفات بشفاء ابني حينها كُنا نقوم بعمل تحاليل لفحص الكلى فوجدنا أن نسبة إفراز الإنزيمات قد هبطت لمسـتوى أقل من الطبيعي فالحمد لله دائمًا وأبدًا."

السبيل التاسع

دعاء المضطر

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}

أخبرني يا صديقي كم مرةٍ كنتُ في شدّةٍ ودعوتُ الله بالخروج والنجاة، فخرجتُ منها ونجوتُ سالمًا بكل سهولة ويسر؟ أخبرني كم مرةٍ ضاقت بك الدنيا وأحكمَت قبضتها عليك فرفعت أكفك مناجيًا ربك تشكو إليه بثّك وضعفك، فاستيقظتُ على فرجٍ وخيرٍ لم تعرف كيف ومن أين أتى؟

هذا هو ما يُسمى بدعاء المضطر يا رفاق. أن تكون في ضيق وشِدّة فتدعو الله مضطرًّا فيستجيب لك فيزيح عنك همّك ويُفرّج كربك ويُريح قلبك على الفور.

حينما كنتُ صغيرة، كانت أقصى مخاوفي أن أكتب الواجبات المدرسية حتى أنجو من العقاب، فحينما لا أقوم بإحدى الواجبات

كنتُ أخشــى كثيرًا من العقاب فكلّما حان وقت عقابي أدعو الله كثيرًا بأن أنجو منه، وبلطف الله دائمًا وبطريقة مثيرة للاندهاش كنتُ أنجو كأن يغفل أســتاذي عن الســؤال عنها أو يتغيّب عن الحضور يومها أو لا يراني حتى يسألني فيُعاقبني!

ظللتُ ســنوات طفولتي أتعجبُ من ســرعة الإجابة في مثل هذا المقام من الدعاء، كنتُ حينها لا أفهم أنّ هذا موقف دعاء مضطرّ ولم أفهم حينها أيضًــا معنى قوله "أمّن يُجيب المضــطر إذا دعاه" رغم أنني كنتُ أحفظها وأقرأها كثيرًا حتى كبرتُ وســمعتُ ذات مرة تفسير شيخنا الجليل الشيخ الشعراوي لهذه الآية، ففهمتُ حينها ما سبب هذا اللطف الذي كان يغمرني في كل مرّةٍ لجأتُ فيها إلى الله أدعوه في ضرورةٍ واضطرار.

قال القرطبي رحمه الله تعالى-: "ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفســه، والســبب في ذلك أن الضــرورة إليه باللجوء ينشــأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما ســواه، وللإخلاص عنده -ســبحانه- موقع وذمة، وُجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر".

إذا تأملنا في قوله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} سنجد أنّ الله لم يعلّق أمر استجابة الدعاء على أمر صلاح العبد بل إنّ الله علقها على حالة الاضطرار فقط ومن ثمّ فإنّ دعوة المضطر مستجابة على أيّ حال سواء كان صالحًا أو فاسقًا، مؤمنًا أو كافرًا، فما من عبدٍ لجأ الله حال اضطراره إلا أجابه.

هيّا بنا الآن في رحلة حول مواقف وقصص عن مفتاح دعاء المضطر وأثره في استجابة الدعاء:

-نعلمُ جميعًا قصة أصحاب الغار الذين دعوا الله دعاء المضطر حينما أغلق دونهم الغار ولم يجدوا للخروج سبيلًا، فأجابهم بسرعة البرق.

سأخبركم الآن بتفاصيل تلك الحادثة خشية أن يكون من بيننا من لا يعرف تلك الحادثة الغريبة:

وردت قصة أصحاب الغار في السُنة النبوية الشريفة؛ حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

"انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ فَقَالُوا

إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ -شُرْب الْعَشِيّ- قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا فكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ -الصِّيَاح بِبُكَاء بِسَبَبِ الجُوْعِ- عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْر فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوج. قَالَ النَّبِيُّ -صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيّ [كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ] فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي [فَقَالَتْ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا] فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ [قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا

بِحَقِّهِ] فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا [فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا] وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ [فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَانِ] قَالَ النَّبِيُّ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ (أَيْ: ثَمَنه) غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ".

يحضرني الآن دعاء بعض الأنبياء الذين حينما تعرّضوا لأذى من قِبل أقوامهم دعوا الله بدعاء المضطر فأجابهم، من أمثال هؤلاء الأنبياء خليل الله إبراهيم -عليه السلام- عندما أُلقاه قومه في النار بعد أن حطّم أصنامهم فدعا -عليه وسلام- في هذه الشدة وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وكذلك رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم-

قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" في غزوة أُحد حينما قيل لهم: "إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم".

فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: "حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ.. وقالَهَا مُحَمَّدٌ -صلى اللهُ عليه وسلَّم- حِينَ قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}".

لا نغفل عن دعاء نبيّ الله أيوب -عليه السلام- حينما مسّه الضر فقال لربه وهو مغلوبٌ على أمره: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

ولأنّ نبيّ الله أيوب -عليه السلام- دعا الله دعاء مضطرٍ مكروب، استجاب لدعائه وكشف عنه ضره (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا).

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

السبيل العاشر

المطعم الحلال

"يا أيّها الذين ءامنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم"

لا نغفل أيها الرفاق عن عظيم دور المطعم الحلال في استجابة الدعاء، فالله أوصانا بتحرّي المطعَم الحلال في كثير من آيات كتابه العزيز كقوله سبحانه وتعالى: "يا أيّها الذين ءامنوا كلوا ممّا في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين" كما أوصنا رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- في أحاديثه، فورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إنّ الله تعالى طيّبٌ لا يقبل إلا طيّبًا، وأنّ الله أمر المؤمنين بما به المرسلين، فقال تعالى: "يا أيّها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحًا"، وقال تعالى: "يا أيّها الذين ءامنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم". ثمّ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر،

يمد يده إلى السـماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشـربه حرام، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام، فأنّى يستجابُ له؟!

نلحظ جميعًا في قول رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- "فأنّى يسـتجاب له؟!" حالة التعجب واسـتبعاد اسـتجابة دعاء من كان مطعمه وملبسـه من حرام، ومن ثمّ فإنّ الله -سـبحانه وتعالى- يسـتجيب للعبد طالما يتحرّى الحلال في مطعمه ومشـربه وملبسـه كما جاء في معجم الطبراني بإسـنادٍ ضـعيف: أنّ رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم- قال له سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله، ادعُ الله لي أن أكون مُجاب الدعاء، فقال له رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم-: يا سعد، أطب مطعمك تكن مُستجاب الدعوة.

يحضـرني الآن موقف لرسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- مع أم عبد الله أخت شدّاد بن أوس حيث أرسلت لرسول الله -صلى الله عليه وسـلم- لبنًا ليفطر منه بعد انتهاء صـومه، فشـرب رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- من لبن أمّ عبد الله لكنّ رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- تذكّر أنّ أم عبد الله ليس لديها شـاة لتحلبها، فأرسـل لها يسـألها من أين لها بهذا اللبن، فأخبرته أنّه من شـاة عندها، فأرسـل إليها رسـول الله يسـألها من أين أتت بهذه الشـاة،

فأجابت بأنّها دبّرت مالًا واشترت به شاة، فاطمأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. نرى في هذا الموقف تحرّي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحال اللبن رغم أنه مُهدى إليه وليس مسئولًا عن مصدره ولكن هذا الموقف يُعلّمنا أهميّة تحري الحلال في جميع أمور حياتنا من مأكل ومشرب وملبس وغيرهم.

كما أنّني أتذكّرُ جيدًا قصة لأحد التابعين الذي كان ذات يوم أجيرًا يعمل بالنهار ليأخذ أجرته بالمساء ولكنه ذات مرة بعد أن انتهى من عمله وأخذ أجرته اشترى طعامًا ليأكله بعد جوع، وحينما شرع في تناول طعامه الذي حصل عليه بعد يومٍ شاق، انتابه الشكّ في أمر عمله حيث خشى أن يكون قد قصّر في أداء عمله فيكون هذا الطعام حرامًا، فترك الطعام رغم شدة الجوع ونام جائعًا.

لله دره!

أين نحن الآن أيّها الرفاق من حال هؤلاء؟

بالطبع نحن الآن في زمنٍ يأكل بعضنا بعض، فيأكل القوي مال الضعيف واليتيم، ويعيش بعض الشباب على سرقة أموال

غيرهم، ويسـلب الأخ حق أخيه، ويأكل الرجل ميراث المرأة! وبعد ذلك نتساءل لماذا لا يستجيب الله دعاءنا!؟

لله دره!

وفي الختام أوصيكم بالمطعم الحلال، فمن كان له دعوة مُعلّقة على أبواب السماء، فليطب مطعمه حتى تُفتح له الأبواب.

هل أنا عبدٌ سيّء؟

هل أنا عبدٌ سيّء حتّى لا يستجيب الله دعاءي؟

كثيرًا منا يسـأل نفسـه هذا السـؤال، بل كثيرًا منا يزيّل لهم الشـيطان هذا الفكر لكي يجعلهم يعيشـون في حالة من اليأس وفقدان الأمل في إجابة الله لدعائهم، فنتوقف عن الدعاء ومن ثمّ نندرج تحت فئة القوم الذين وصـفهم الله بالكفر في قوله "ولا تيأسـوا من روح الله إنّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" وهنا تكون مهمّة الشيطان في خداعنا قد نجحت بالفعل.

هل أنا عبدٌ سيء؟

دعوني الآن أجيب عن سـؤال السـائلين، وأريح قلب الخائفين، وأثلج قلب المنتظرين.

يا رفيقي إن تأخرت الاستجابة عنك فهذا لا يعني أنّك عبدٌ سيء، بل ربما تأخرت لأنك عبدٌ صالح.

نعم قد يكون تأخر إجابة دعاء الداعي بسبب رغبة الله في التلذذ بقربه حينما يُناجيه ويُناديه؛ فقد روى الطبراني في كتاب الدعاء من حديث جابر مرفوعًا: إن العبد ليدعو الله -عز وجل- وهو يحبه فيقول الله -عز وجل-: يا جبريل اقضِ لعبدي هذا حاجته وأخّرها، فإني أحب ألا أزال أسمع صوته، قال: وإن العبد ليدعو الله -عز وجل- وهو يبغضه فيقول الله -عز وجل-: يا جبريل اقضِ لعبدي هذا حاجته وعجلها، فإني أكره أن أسمع صوته.

وما رواه الطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة مرفوعًا: إن الله -عز وجل- يقول للملائكة: انطلقوا إلى عبدي، فصبوا عليه البلاء صبًا، فيأتونه فيصبون عليه البلاء، فيحمد الله، فيرجعون فيقولون: يا ربنا صببنا عليه البلاء صبًا كما أمرتنا، فيقول: ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته.

وروى الكلاباذي في معاني الأخبار من حديث أنس مرفوعًا: إذا أحب الله -تعالى- عبدًا صبّ عليه البلاء صبًا وسحبه عليه سحبًا، فإذا دعا، قالت الملائكة: صوتٌ معروف، وقال جبريل صلوات الله

عليه: يا رب عبدك فلان اقضِ له حاجته، فيقول الله تعالى: دعوا عبدي، فإني أحب أن أسمع صوته.

من جانب آخر قد يكون تأخر إجابة دعاء العبد بسبب فقدان شرط من شروط الدعاء كعدم معرفة منا بمفاتيح الاستجابة التي نتحدث عنها هنا بين ثنايا صفحات هذا الكتاب.

ثمّ أخبرني يا رفيقي هل كل ما نسأل الله به هو خير لنا حتى نحزن إن تأخرت الإجابة؟!

أحيانًا نسأل الله أمرًا فلا يُجيبنا فنلحّ في السؤال حتى يُجيبنا فنسعدُ كثيرًا بأمر الإجابة ثمّ يتبيّن لنا الشر فيما سألنا فنحزن ونندم على تلك الدعوة! لذلك اعلم يا صديقي أنّ عدم إجابة الله لك في أمرٍ ما ترغب في تحقيقه أو تؤخرها أحيانًا قد يكون خيرًا أنت لا تعلمه والله يعلم وهو علّام الغيوب.

دعوني الآن أطرح عليكم سؤالًا لأضرب لكم مثلًا:

إذا رأى طفل لا يتجاوز عمره الثلاث سنوات شعلة نار انبهر بنورها ولونها ثم أراد أن يقترب منها يلمسها، فمنعه والده وأبعدها عنه فهل هذا يعني أنّ الطفل سيء حتى منعه والده من تحقيق ما يرغب، أو أنّ والده سيء لكونه فعل ذلك؟!

يُقال "ليس كل ما يلمع ذهبًا"

وأنا أقول لك يا رفيقي ليس كل ما ندعو به خيرًا.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد متولي الشعراوي -رحمة الله عليه-: عدم الإجابة إمّا لأنّ جهاز الدعوة جهاز مُعطَّل، وإمّا لأنّك دعوت بشــيءٍ فعلمت الخير فيه فلا يُريد الله أن يســير على وفق خلقك، ولكنه يؤخذ بيدك إلى مجال حكمته ويمنعُ عنك ذلك، وشــيء آخر قد يحجب عنك الإجابة لأنّه إن أعطاك ما تحبُّ فقد أعطاك في خيرٍ فانية وهو يحبك فيُبقي لك الإجابة إلى خير الباقية."

هنا ذكر فضــيلة الشــيخ الشــعراوي ثلاثة أســباب لتأخير استجابة دعائك أو منع الإجابة عنك:

أمّا الأولى: جهاز الدعوة.

والمقصــود بجهاز الدعوة هي حال العبد الذي يدعو الله كمن يدعو الله ومطعمه من حرام، أو كمن يدعو بإثم أو بقطيعة رحم أو يســتعجل أمر الإجابة كما ذكرنا هذه الأمور بالتفصــيل في الأبواب السابقة.

أمّا الثانية: <u>الدعاء بما ليس في تحقيقه الخير</u>.

أي كما ذكرنا ســـابقًا الـدعـاء بـأمر نظن فيـه الخير فيتبيّن لنـا عكس مـا ظننـا، فيكون حجـب الله عنّـا تحقيقـه الخير ويكون في إجابته الشر.

أمّا الثالثة: <u>يؤخر الله أمر الإجابة لكي يتلذذ بصوت دعائك.</u>

وهو أيضًـا إجمال ما ذكرنا سـابقًا عن حبّ الله لسـماع صـوت دعاء عبده، فيؤخر عنه الإجابة حتى لا ينقطع العبد عن دعائه.

قد يسـألُ سـائل: هل يؤجر العبد على تأخر أو انقطاع أمر إجابة دعائه؟

نعم يـا رفيقي، يؤجر العبـد منّـا على الـدعـاء كمـا يؤجر على العبادة، فالله -سـبحانه وتعالى- جعل الدعاء جزءًا من العبادة كما ذكر في قـولـه: "وقـال ربكم ادعـوني أســتجـب لكم إنّ الـذين يستكبرون عن <u>عبادتي</u> سيدخلون جهنّم داخرين"

وهنا يســألنا ســائل عن صــور مكافأة الله للعبد على دعائه المتأخر أو المنقطع عن الإجابة:

هناك ثلاثة صــور للدعاء عند الله: إمّا تحقيق الدعوة، وإمّا أن يدّخرها للعبد في الآخرة، وإما أن يُكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من رجلٍ يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجّل في الدنيا، وإما أن يُدّخر له في الآخرة، وإما أن يُكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعة رحم أو يستعجل».

قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: "يقول: دعوت ربي فما استجاب لي."

من هذا الحديث نستنبط أنّ الدعاء الذي ينقطع وقوعه في الدنيا يُكافِئ الله به عبده في الآخرة أو يُكفّر له ذنبه بقدر ما دعا الله.

الخاتمة

وفي الختام أنصح جميع قرّاء هذا الكتاب بالاستعانة بمفاتيح الاستجابة التي قُمتُ بذكرها في هذا الكُتيّب الصغير، ثمّ إن تأخّر أمر الإجابة عنك أو انقطع وقوعه في الدنيا فلا تحزن ولا تظنّ بأنك سيء، فلا نعلم أين يكمن الخير ولا نعلم الوقت المناسب للإجابة، فالله وحده يعلم ويقدِر ويُقدّر الخير.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينتفع به كل من يقرأه كما أسأله سبحانه وتعالى أن يُريح قلوبكم، ويحقّق أمانيكم، ويُثلج قلوبكم بما تحبون من الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بفضل الله تعالى

الانتهاء من كتابة هذا الكُتيّب الصغير

يوم الجمعة، الموافق لعام 1443هـ-2022م.



ج.م.ع

الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339